أبو العباس العزفي

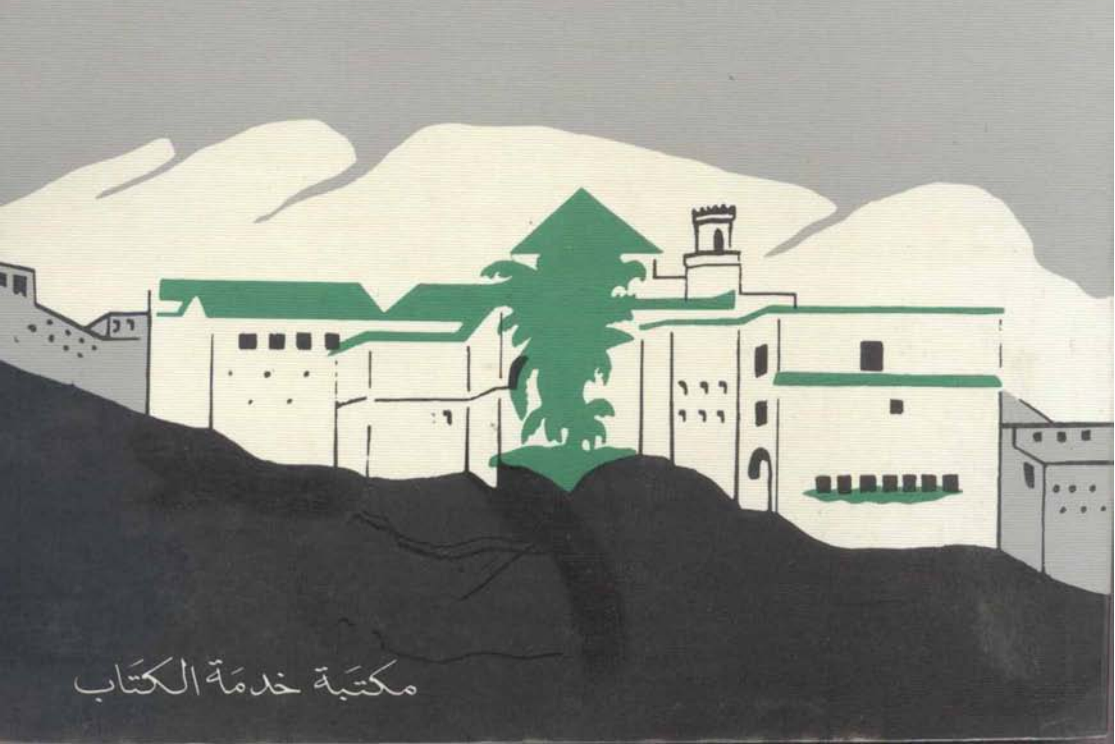
557 - 633هـ

دعامة اليقين في زعامة المتقين

«مناقب الشيخ أبي يعزى»

تحقيق

أحمد التوفيق



مكتبة خدمة الكتاب

دعامة اليقين
في
زعامة المتقين

«مناقب الشيخ أبي يعزى»

أبو العباس العزفي

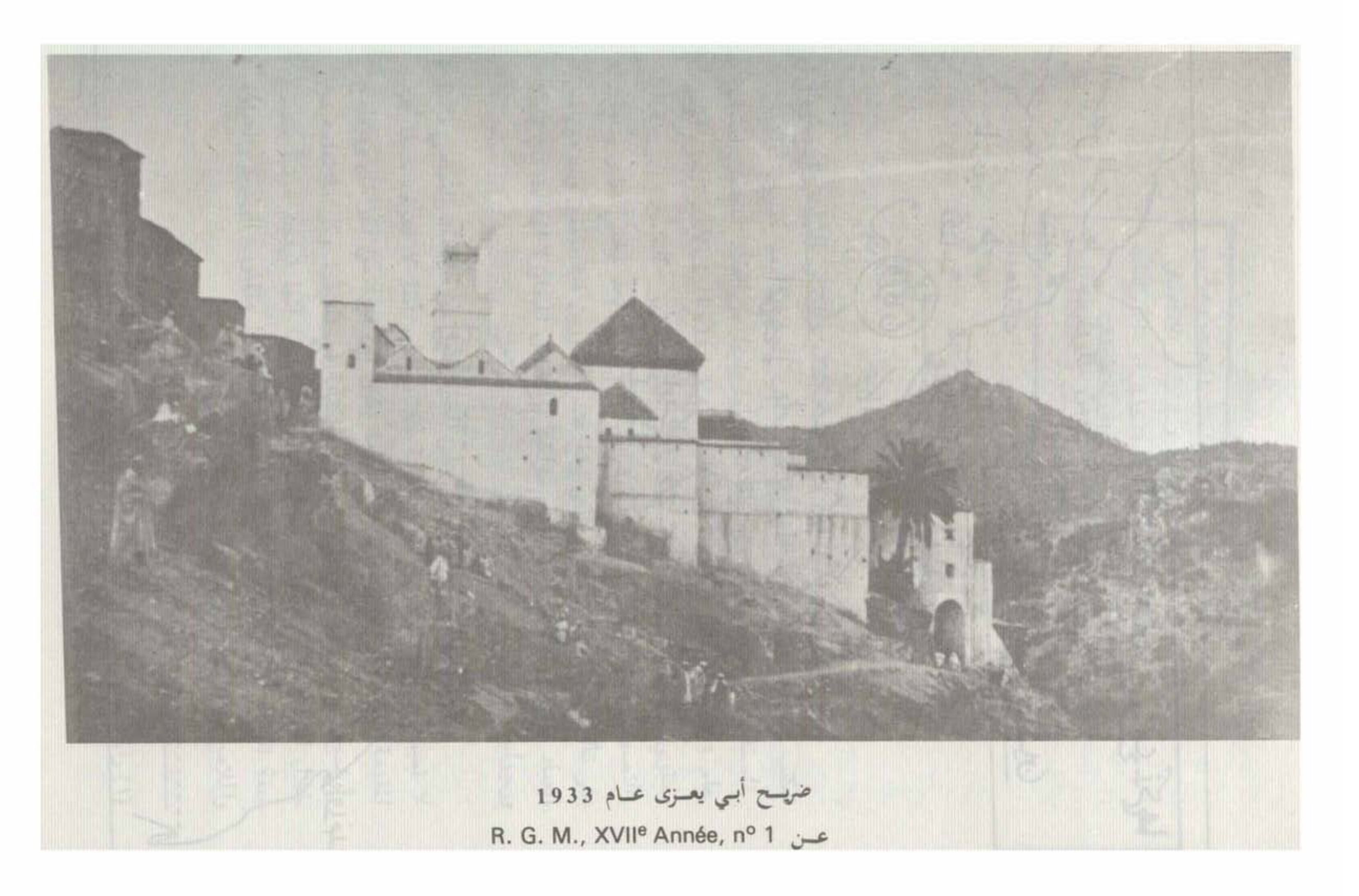
557 - 633هـ

تحقيق

أحمد التوفيق

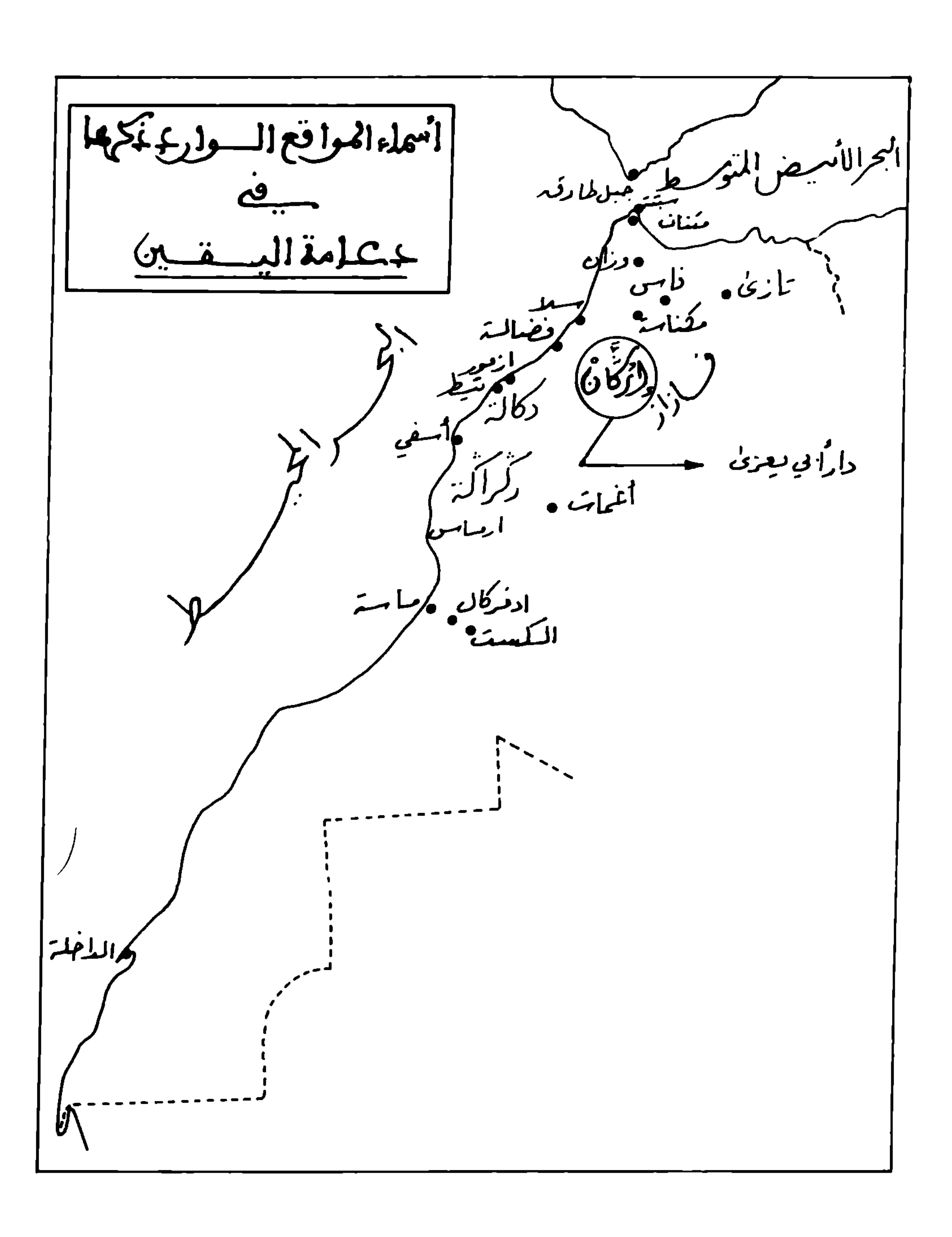
رقم الايداع القانوني
1989/70

مكتبة خدمة الكتاب
46، شارع علال بن عبد الله
95 ـــ 244



ضريح أبي يعزى عام 1933

عن R. G. M., XVIIe Année, n° 1



أسماء المواقع الوارد ذكرها
في
دعامة اليقين
البحر الأبيض المتوسط
جبل طارق
سبتة
وزان
فاس
تازى
مكناسة
سلا
فضالة
ازمور
تيط
دكالة
أسفي
ركراكة
أغمات
إركان
دار أبي يعزى
ماسة
ادفركال
الداخلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة التحـقيـــق

يعتبر كتاب *دعامة اليقين في زعامة المتقين* الكتاب الثالث في سلسلة الكتب المعروفة التي ألفها المغاربة في مناقب الصوفية بعد كتابين أولهما *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد* للتميمي المتوفى عام 603 هـ أو عام 604 هـ. وقد ظهر منه في هذه المدة الأخيرة جزء أخير يحتوي على ثمانين ترجمة (١). وأما ثاني الكتابين فهو *التشوف الى رجال التصوف* لابن الزيات التادلي المتوفي سنة 627 هـ بعد مضي عشر سنوات على تأليفه لذلك الكتاب القيم الذي يبلغ عدد المذكورين فيه مائتين وسبعين من العباد والزهاد معظمهم من أهل مراكش والقبائل المجاورة لها ما بين تادلا ورجراجة ودكالة.

وحيث إننا لم نقف لحد الآن على الجزء الأول من مستفاد التميمي فإننا لا نستطيع التحدث عن البنية العامة للكتاب. أي أننا لا نعرف شيئا عن المقدمة التي يكون قد وضعها لمؤلفه وما يكون بين فيها من أغراض وبرنامج وأوضح فيها من فكرته حول التصوف والكتابة في المناقب. وكل ما نعلمه من خلال التراجم التي يضمها الجزء الذي بين أيدينا أنها تراجم مرتبة حسب سنة الوفاة، متفاوتة الطول قليلا، مضمون مناقبها متقارب الوثيرة والعبارة والملامح مائل الى التجريد مزين ببعض الأشعار.

---

(١) راجع محمد بنشريفة *حول كتاب المستفاد*، دعوة الحق، عدد 259 ص 26 - 31.

أما كتاب *التشوف*، وهو أكثر الكتب الثلاثة تداولا بمرور القرون، فقد أوضح مؤلفه في مقدمته الغرض من تأليفه، ثم قفى بفصول على سعة خمس حجم الكتاب تناول فيها ما جاء في الولاية من آثار وما يعزز جواز الكرامات من أحاديث وأخبار، وذلك اقتداء بمؤلفات مشرقية سابقة في الموضوع وسلوكا لمهيع المجتهدين من صوفية السنيين في الحرص على تأصيل حياة الزهد والتصوف وما يتعلق به من خصائص وأحوال في الزمن الإسلامي وفي السيرة المرضية للصحابة والتابعين وربطها بمتأول نص الكتاب والحديث.

أما *دعامة اليقين* فقد قصد به مولفه أبو العباس العزفي الى ذكر أخبار الشيخ الشهير أبي يعزى يلنور، وقد وردت ترجمة هذا الشيخ على نطاق محدود في *المستفاد* وفي *التشوف* ضمن تراجم الكتابين، وإن كان كل من التميمي وابن الزيات قد توسع في ترجمة أبي يعزى أكثر مما فعل في أخبار بقية المترجمين، وقد نص ابن الزيات على أن أخبار أبي يعزى كثيرة عجيبة وإنما اختصر منها القدر الذي أورده في *التشوف*، بينما قال التميمي، وقد أدرك أبا يعزى وشد اليه الرحال «وإنما أذكر في هذا الباب ما شهدت أنا منه» فهو بهذا لم يحتج الى توثيق أخباره. أما التادلي فقد أسندها وذكر من جملة ما أسنده «وسمعت أبا العباس أحمد بن ابراهيم الأزدي يقول سمعت أبا عبد الله الكتاني يقول نُقِلَتْ كرامات أبي يعزى نقل تواتر. وذكره الشيخ أبو الصبرأيوب بن عبد الله الفهري قال لقيت الشيخ الزاهد الفاضل الرفيع، آية وقته أبا يعزى يلنور وكان أعجوبة في الزمان وعدة للإيمان، بلغ من مقامات اليقين مبلغا لا يبلغه إلا الأفذاذ من العارفين واشتهر عنه من الكرامات ما وقع موقع العيان، وشهد بشهرتها الكافة والأعيان، ولولا خيفة إنكار البطالين المنكرين والغافلين المدبرين لأوردنا من بعض ما شاهدنا منه من الكرامات ما يعرفه المحققون ويرتاح لسماعه المتقون» (٢).

أما العزفي الذي عاصر ابن الزيات، ونقدم لكتابه هذا، فقد توسع في ذكر أخبار أبي يعزى وجعلها واسطة عقد كتابه، ومهد لها بمقدمة مستفيضة في ذكر الولايـة والكرامة ثم ذيلـها بما جاء في ذكـر الخضـر وهو ذو المكانة

---

(٢) *التشوف* الترجمة (77).

الرفيعة في أخبار المتصوفين. وقد صرح العزفي بأنه يستعمل منهج المحدثين ومصطلحهم، وذكر ما ذكره صاحب *التشوف* من قول أبي عبد الله ابن الكتاني «نقلت كرامات أبي يعزى نقل تواتر»، وهكذا ميز العزفي في أخبار أبي يعزى مما أسنده بين المتواتر بأنواعه والمرسل بأنواعه، وقد رأى في هذا المنهج دعامة للموقنين وإفحاما للمنكرين. وكفى بذلك تأكيدا على ما عرفه ذلك العصر الموحدي من استفحال ظاهرة التصوف في المغرب، وما تبلور حولها من نقاش بين معارضين بمختلف حيثياتهم ومؤيدين أو متبعين بمختلف درجاتهم، وكان ذلك النقاش وجها من الوجوه التي ارتسمت عليها ملامح تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية.

ان استعمال قواعد الإسناد (٣)، والتحري في تطبيقها، قد لا يكون مقنعا في حد ذاته للجميع عندما يستعمله رجل غير متفق على ضبطه كالتميمي أو رجل إخباري كابن الزيات، ولكنه يصبح محرجا عندما يتعزز بالسلطة العلمية لمصنف له مكانة مثل التي كانت لأبي العباس العزفي، فهو من أعلام عصره بسبتة. قال في ترجمته أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرُّعيني الإشبيلي (592 هـ - 666 هـ) (٤) وهو يتحدث عن شيوخه «ومنهم الشيخ الفقيه الجليل السني الفاضل أبو العباس أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللخمي، عرف بابن أبي عزفة، هكذا كتب لي اسمه بخطه، رحمه الله تعالى. من خاتمة أهل العلم بالسنة والإنتصار لها، نفعه الله، برز علما وعملا، ودراية، ورواية، وجمع خصالا من الفضل جمة، ولزم التدريس بجامع سبتة مدة عمره، ورحل الناس الى الأخذ عنه والإستفادة منه، وكان على طريقة شريفة من التسنن واقتفاء السلف، والإكباب على سبل الخير كلها، لقيته رحمه الله وحضرت مجالس تدريسه» (ص 42- 43).

وبعد ذلك ذكر الرعيني قراءته على أبي العباس ابن أبي عزفة ثم قراءة شيخه هذا، وأخذه عن شيوخ كثر أجلاء من أقطاب العصر في المغرب

---

(٣) كانت لعلماء سبتة عناية خاصة بالإسناد بأنواعه، راجع اسماعيل الخطيب، مقدمة تحقيقه لكتاب *الإشراف على أعلى شرف*، تطوان، 1986.

(٤) *برنامج شيوخ الرعيني*، حققه ابراهيم شبوح، دمشق 1962 ص 42- 47.

والمشرق وقال «وفاته السابع من شهر رمضان، عام ثلاثة وثلاثين وستمائة» (ص 46).

وأما أبو الحسين عبيد الله بن أحمد القرشي الأموي العثماني المعروف بابن أبي الربيع (995 - 886 هـ) فقد ذكر العزفي في برنامجه (٥) الذي جمعه أبو القاسم بن محمد الشاط الأنصاري السبتي (643 - 723) فقال

«والشيخ الفقيه العالم العامل العلم الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند، بقية المحدثين، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عزفة اللخمي العزفي السبتي». ثم ذكر من شيوخ العزفي* أعلاما فضلاء منهم أبوه القاضي أبو عبد الله والزاهد أبو محمد الحجري والقاضي ابن زرقون والخطيب ابن حبيش والمحدث ابن بشكوال والمقريء ابن خير ثم ذكر من أجاز له في أهل المشرق وقال «مولده في السابع عشر من رمضان المعظم عام سبعة وخمسين وخمسمائة، وتوفي في رمضان عام ثلاثة وثلاثين وستمائة».

وقد صنف العزفي مؤلفات عدة تقوم برهانا على رسوخ قدمه في العلوم من جهة وعلى منزعه الصوفي ومعتقده العاطفي من جهة أخرى.

فمن النوع الأول

- **برنامجه** الذي لم يصل إلينا وذكره غيره واحد.

- **منهاج الرسوخ الى علم الناسخ والمنسوخ** وقصده منه بيان المسائل الأصولية الخطيرة المتعلقة بالناسخ والمنسوخ في الكتاب والحديث. ويوجد منه جزء مصور بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط. ويشعر المطلع عليه أن المؤلف اقتحم هذا الموضوع وهو على ثقة بعدته الصناعية في تناول حدود المسائل وشروطها.

- **اثبات مالا منه بد لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد**. ويوجد مخطوطا ببعض الخزانات الخاصة. ويدل

---

(٥) حققه الدكتور عبد العزيز الأهواني ونشر في المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (252 - 270).

تناول هذا الموضوع الدقيق على جانب آخر من اطلاعه الواسع على نصوص الفقه وكفاءته في الإستنباط واهتمامه بدقائق الحسبة.

أما النوع الثاني فنجد فيه

- دعامة اليقين في زعامة اليقين.

- الدر المنظم في مولد النبي المعظم صنفه في الندب لإقامة الإحتفال بالمولد النبوي، كان آخر مؤلفاته، توفي قبل إكماله فتصدى لذلك ولده العالم الرئيس أبو القاسم، وتوجد من هذا الكتاب نسخ مخطوطة، وقد حُقق على أساسها مؤخرا جزء من هذا الكتاب في بحث نوقش بكلية الآداب الرباط(٦).

وإذا كانت بعض البيوتات المشتهرة بالصلاح أو بالعلم في مختلف جهات المغرب قد انتدبت الناس للجهاد أو حرضتهم على الحج ونظمت ركبانه فإن بيت العزفيين قد اشتهربقيامه في الندب للاحتفال بالمولد النبوي، ولهذا النوع من المبادرات أبعاد خطيرة في تاريخ المغرب الإسلامي ثقافيا واجتماعيا وسياسيا، وكل منها شكل مشروعا رياديا في الطريق الى زعامة ورئاسة أو عبر عن محاولة تجاوز انتكاسة. فلا بد أن يحس بهذا الإرتباط من يتأمل المحيط الخاص للعزفيين وهو مدينة سبتة بموقعها بين عدوة المغرب وعدوة الأندلس وبحركتها العلمية المتميزة وما فرضه الموقع عليها من عدم استقرار في الولاء السياسي، ثم لابد أن يقتنع به كذلك من ينظر في هذا المخاض السياسي الفكري بالمغرب خلال القرنين الخامس والسادس وما أسفر عنه في القرن السابع من تيارات روحية تنظم المجتمع وتكون قاعدة تبلور الشعور العام والأسلوب الأنجع لترسيخ القيم بينما تطفو عليها التشكيلات السياسية بمختلف ملابساتها ووقائعها تعتورها أحوال الهدوء تارة وأحوال الإضطراب تارة أخرى.

إن تأليف دعامة اليقين وتأليف الدر المنظم عملان لا يختلفان في قصدها، بل يتجاوبان مع هموم ظرفية بعد هزيمة جيوش الأمير الموحدي في

---

(٦) فاطمة اليازيدي كتاب *الدر المنظم في مولد النبي المعظم*، تقديم وتحقيق (د. د.ع، صيف 1987).

وقعة العقاب بالأندلس (609 هـ). وأجدر بالعالم السبتي النبيه أن يدرك وقع ذلك المصاب ويهتم له ألم يستشهد في تلك الوقعة زاهد علماء سبتة أبو الصبر أيوب صاحب أبي يعزى ؟ ألم يكن في سبتة عدد من الفضلاء الزهاد المتبعين لأبي يعزى المترددين عليه من غير أبي الصبر ؟ ألم يكن في ذلك التلاقي نوع من التعاطف بين هامش مكاني تمثله سبتة وهامش ثقافي خير من يمثله هو شيخ جبل ايروجان ؟ ألم يكن في السادة الموحدين عدد من الأمراء الذين أعانهم التهميش على الزهد ؟ فها هو مؤلف *دعامة اليقين* يسند بعض أخبار أبي يعزى إلى بعض الأمراء من أحفاد عبد المومن حيث قال «وحدثني السيد الماجد السري الفاضل أبو محمد عبد الواحد ابن سيدنا أمير المؤمنين أبي يعقوب عن أخيه السيد السني الماجد الفاضل الزاهد أبي عبد الله ويقول حدثني السيد الماجد الفاضل السري الحسن المشاركة في علم الباطن والظاهر أبو ابراهيم، أخوهما، أعز الله الإسلام بنصرهم وطيب في الملأ الأعلى سامي ذكرهم، عن زوج الشيخ الصالح أبي يعزى أم العز...»، وفي ذكر هذا السند ما يعيننا على الإعتقاد أن أبا محمد وأبا ابراهيم ابن أبي يعقوب بن عبد المومن هما المقصودان في المؤلف عندما قال في مقدمة الكتاب ذاكرا الدافع له الى التأليف «أشار علي من أمرهما رشيد ممتثل، وبسروهما وفضلهما يضرب المثل ، أن أجمع من كرامات الشيخ الصالح، بقية الأولياء، السابق في حلبة الأصفياء، أبي يعزى بلنور [...] فلبيت دعوتهم المرضية ومهدت همتهم العلوية، وشكرت الله تعالى حين جعل أمراءنا من صالحينا ووفقهم للمنافسة في الحقائق والمعارف والعوارف حينا فحينا».

ويغلب على الظن، بناء على هذه الإشارة، أن تأليف *دعامة اليقين* واقع من حيث السياق الفكري في غمرة التحول عن الإتباعية العقدية حتى من قبيل أبناء البيت الموحدي والتفاتهم الى حملة لواء المعاني المعارضة بالأمس اعترافا ببعض الفشل أو انتقادا لبعض الإنحراف ومحاولة لفهم مؤشرات النكوص والإرتكاس، فتحسس هذه الظرفية وملابساتها قد يجيز لنا أن نرى في مشروع العزفي من خلال هذا الكتاب ومن خلال برنامجه فيه محاولة تجاوز للأزمة، أزمة الدولة الموحدية المختنقة بنكسة الجهاد على الساحة الإيبيرية بعد عام 609 هـ وأزمة الثقافة الرسمية المواكبة لها في ارتباط مع

عقيدة المهدي، ولم يأت رد الفعل في صيغة نقد عقلاني بل جاء في صورة إعلاء نموذج روحاني متمثل في أبي يعزى الأمي الأعجمي الظاهرة الذي تتلمذ له الناس في مختلف الآفاق والطبقات من سبتة الى أقاصي سوس، فنرى المؤلف يدفع عنه تهم المتهمين مستعملا ترسانته من أدوات المحدثين والأصوليين، ونراه يخصص جزءا مهما من الكتاب للحديث عن الخضر باعتباره صاحب العلم اللدني المخصوص به، السابقة المنصوص عليها في رفع التحجير، والحديث عن أبي يعزى الذي يبرىء ذوي العاهات والعلل المضنية ويتعامل مع الأسود ويكشف عن المضمرات حديث يفتح باب الإمكان، وشرط ذلك أن تفسح الثقافة مكانا للطبيعة. وهذا ما فعله الفقيه السبتي بتطارحه على باب شيخ ايروكًان.

أما من حيث تأريخ تأليف هذه الأخبار التي اهتم العزفي بجمعها من قبل فنستطيع تحديده ما بين عام 609 هـ، وهو عام العقاب واستشهاد أبي الصبر، وبين عام 621 هـ، وفيه قتل الرجل الصالح المتورع الزاهد أبو محمد عبد الواحد ـ الذي بايعه أشياخ الموحدين على كره منه ثم خالفه عليه ابن أخيه يعقوب المنصور وهو عبد الله الملقب بالعادل فخلع عبد الواحد وخنقه أنصار القائم حين دخلوا عليه القصر بمراكش فكان أول من خلع وقتل من بني عبد المومن (٧).

ويتعين في السياق المفترض إدخال عنصر جديد له أهميته القصوى بالنسبة لسبتة التي ثبت لها التشبث بالإستقرار والوفاء للقائمين. فلم تسارع الى الخروج على المرابطين كما لم تسارع الى التحلل من الولاء للموحدين، وهذا العنصر هو المد المريني الجارف واجتياح القبائل الزناتية لأرض المغرب، ونجد العزفي في تأليفه هذا يذكر رباط تازا ويقول «جبره الله» ومعلوم أن أول دخول المرينيين لهذا الرباط الذي هو بوابة جهات فاس كان سنة 613 هـ (٨). فيرجح بهذا أن يكون التأليف بين هذا التاريخ وبين عام

---

(٧) راجع *القرطاس*، ص 245 و*البيان المغرب* 3 : 166.

(٨) *القرطاس*، ص 275.

620. ومن هذه السنوات السبع أعوام شداد وفيها (٩) ألف ابن الزيات كتابه الموسوم *بالتشوف الى رجال التصوف* فلا يستبعد أن يكون العزفي قد كتب فيها عن أعجوبة دهرهم أبي يعزى، وبذكر أمثاله تتنزل الرحمات.

وهذا ابن عبد الملك، وليس أبو يعزى من شرط كتابه، يستطرد في ترجمة أبي الحسين ابن الصائغ فيذكر شيخه يلنور ومن ألف فيه ومنهم العزفي فينسب له كتاب *دعامة اليقين في زعامة المتقين* (١٠). وهذا مؤلف *مفاخر البربر* يشير الى كتاب *دعامة اليقين* بقوله «وقد ألف الشيخ الفقيه العالم الصالح الشهير أبو العباس العزفي نزيل سبتة في كرامة الشيخ أبي يعزى ما هو مشهور عند الناس» (١١).

أما كتب مناقب صلحاء المغرب مما ألف بعد هذه العهود الأولى من ظهور هذا النوع من الكتابة، فقلما خلت من ذكر أخبار أبي يعزى، بل نجد له ذكرا حتى في كتب طبقات المشارقة (١٢). وفي نهاية المائة العاشرة للهجرة فرع أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد الشعبي الصومعي التادلي من كتاب أفرده لذكر أخبار أبي يعزى نقلا عمن تقدموا وتوسعا في العبارة واستطرادا في الحكاية، وسماه *المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى* ورتبه على سبعة أبواب تحدث فيها عن نسب الشيخ، ومجاهداته وأشياخه وكراماته والآخذين عنه وإخوانه ثم ختم بذكر آداب زيارة روضته وما للمؤلف من اتصال في النسبة بهذا الشيخ المترجم. وقد طبع من هذا الكتاب جزء على الحجر بفاس ونصه الكامل يوجد مخطوطا، موجود في عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط وغيرها (١٣).

---

(٩) سنة 617 هـ.

(١٠) *الذيل والتكملة* (قسم الغرباء) ص. 420. تحقيق الدكتور بنشريفة.

(١١) ألف هذا الكتاب شخص مجهول سنة 712 هـ، ونشر جزءا منه أ. لا في بروفنصال سنة 1934 وطبع بالرباط، انظر ص 77.

(١٢) راجع جامع كرامات الأولياء للنبهاني، ص 526. ولواقح الأنوار للشعراني.

(١٣) انظر الجزء الثاني من فهارس الخزانة العامة بالرباط. ص 198 ويشتغل أحد الباحثين بتحقيق هذا الكتاب ودراسته، وينتظر أن تكشف هذه الدراسة عن صلة أخبار أبي يعزى المسندة بفروعها الممتدة في هذا الكتاب كما دونها الصومعي.

ولابد من الإشارة في هذا التقديم الى أن ضريح أبي يعزى شهير اليوم بالمغرب مقصود من الزوار بجبل بين واد زم وخنيفرة، وقد عمرت حول هذا الضريح بلدة نامية تحمل اسم دفينها أبي يعزى، وقد أضيفت الى اسمه ولصقت به الكلمة المستعملة لمخاطبة آل البيت في المغرب «مولاي» ودرج الناس على النطق العامي باسمه «بوعزة»، فاسمه اليوم واسم بلدته «مولاي بوعزة». وقد ألف الطلعاء عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني رسالة في بيان حداثة هذه النسبة الشريفة التي ألحقت بهذا الزاهد البربري وسماها *الاستهزا بمن زعم الشرف للشيخ أبي يعزى* (١٤).

تحقيق دعامة اليقين في زعامة المتقين

اعتمدنا في نشر نص هذا الكتاب على مخطوطين

1) مخطوط الخزانة العامة بالرباط وهو ضمن مجموع رقمه 341ق، وقد رمزنا اليه بحرف «ا» وهو في المجموع من صفحة 52 الى 206، مسطرته 15 ومقاسه 18 x 13 سم، وهو مكتوب بخط أندلسي جميل مشكول تتخلل بدايات استئناف الكلام فيه تلوينات بالأحمر والأزرق والأسود، وفي الصفحة الأولى من المخطوط وردة ملونة كتب في وسطها «قال اشيخ الفقيه أبو العباس العزفي رضي الله عنه»، وفي هوامش هذه الصفحة عبارة يفهم منها أن المجلد حبس أولا على الأولاد الذكور من أعقاب علي بن العياشي أدراق بتازا ثم حبس على المسجد الأعظم بتازا يلي ذلك رسم تحبيس آخر جاء فيه «الحمد لله، هذا السفر من الكتب التي اشتريتها من ورثة السيد الحاج محمد بن أحمد المكودي ثم بعد ذلك تفطنت للفظ حبس مقيد على بعض أوراقه فوقع في قلبي شيء وان كان التحبيس لا يثبت بذلك فاشهدت على نفسي مستودعا شهادة أن لا اله إلا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله أنه متى قضى الله تعالى بوفاتي فهو حبس على خزانة الجامع الأعظم بتازى صانها الله...»

---

(١٤) راجع *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، تحت رقم 204. ولعل المخطوط الأصلي للكتاب أو مسودته على الأقل يوجد ضمن كتب المؤلف في الخزانة الملكية.

وفي آخر صفحة من ص دعامة *اليقين* بيان تاريخ النسخ كما يلي «كمل والحمد لله حق حمد [ ] بتاريخ أواسط صفر عام أربعة وثلاثين وثمان مائة». ولم يذكر اسم الناسخ

2) مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط ورمزنا اليه بحرف «ب» وهو ضمن مجموع رقمه 9447 من صفحة 195 الى صفحة 228، مسطرته 31، مكتوب بخط اندلسي جميل قليل التزويق، وهو خال من تاريخ النسخ ومن اسم الناسخ.

وقد تبنينا لنشر هذا النص قواعد الرسم العصري، وأدخلنا فيه علامات الوقف، وجزأناه فقرات بحسب ما يقتضي ذلك لتسهيل قراءة فصوله وتمييز ما جاء فيه من أخبار. والله الموفق.

أحمد التوفيق.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله

قال الشيخ الفقيه [الإمام العالم المحقق] (١) أبو العباس [أحمد بن محمد اللخمي] (١) العزفي [رضي الله عنه] (٢)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين. أشار علي من (1) من أمرهما رشيد متمثل، ويسروهما وفضلهما يضرب المثل، أن أجمع من كرامات الشيخ الصالح بقية الأولياء، السابق في حلبة الأصفياء، أبي يعزى يلنور (2) بن عبد الرحمن (3) بن أبي بكر الأيلاني،

---

(١) ساقط من ا.
(٢) ب : رحمه الله.

(1) راجع مقدمة تحقيق هذا الكتاب.
(2) يِعَزّا أو يِعْزَا أو إِعَزّ أو إِعْزًا حسب نطق ذلك العصر إذا قسنا على اختلاف النطق حسب المناطق في يومنا هذا. ومعناه العزيز أو عزيز أي محبوب. وللشيخ أبي يعزا ولد من أولاده اسمه يعزّى، ذكره ابن الزيات في التشوف، ص. 231. وذكر الصومعي في المعزى أن مدفنه بإيمي نتّمْدا.
يِلَنّورْ، هكذا ينبغي شكله، اسم مركب من يِلا ومعناها "نو" وكلمة النور، أي ذو النور، وقد أصاب ابن عبد الملك إذ رسمها كلمتين يل النور. الذيل والتكملة، 8، ص 414.
(3) لم يذكر صاحب المستفاد اسم والده، واسمه في التشوف ميمون، وفي الذيل والتكملة عبد الله.

من أغمات ويلان (4)، نزيل تاغيت (5) من بلد إركأن (6)، من عمل مكناسة الزيتون، من بلاد المغرب، جبرها (7) الله، ما صح منها بالتواتر والاستفاضة. [وما تقرر لدي عند البحث بالمجارة فيها والإفاضة] (٣) وما بلغني منها على على حكم الإسناد، وتهذيبه عند النقاد، أو الإرسال عن الأفاضل الثقات، والصالحين ذوي الثقاة. فلبيت دعوتهم المرضية، وحمدت همتهم العلوية، وشكرت الله تعالى حين جعل أمراءنا من صالحينا، ووفقهم للمنافسة في الحقائق والمعارف والفضائل [والعوارف] (٣) حينا فحينا.

قال المؤلف رضي الله عنه

سمعت الفقيه الفاضل أستاذ الأستاذين، وآخر المتكلمين، أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوي، عرف بابن الكتاني (8)، وقد جرى ذكر هذا الرجل العظيم وذكر ولايته وانتشار كرامته فقال ما نعلم وليا من أولياء الله تبثت كراماته بالتواتر إلا هذا الشيخ المبارك.

قال المؤلف رضي الله عنه

فاستخرت الله سبحانه على جمع متفرقها، وتحصيل محققها، بعد فاتحة ومقدمتين، تكون أحد جزءين، والجزء الثاني أذكر فيه ما بلغني من كراماته، وآيات صدقه في ولايته وعلاماته، ثم أتلو ذلك في معنى الولي والولاية، فخاتمة، تكون ريّاً للأنفس المتعطشة للحقائق الحائمة.

---

(٣) ساقط من ب.

(4) أنقاضها جنوبي مدينة مراكش عند سفح جبل إمسيوان. راجع التشوف، ص. 84، الهامش 4.

(5) تاغيت أو تاغيا أو تاغيه، لغة العنق أو الخانق بين جبلين.

(6) نطقها إيروگان جمع أرگ الذي معناه البخار، وإذا كانت بكاف معتوقة مخففة فتكون من فعل أرگ الذي يعني بارك، وقد تكون منه إيروگان بمعنى ذوي البركة أو المبروكين. ورسمها عند ابن عبد الملك إيروقان.

(7) إن كانت هذه العبارة من أصل المؤلف فقصده الغزو الأول لبني مرين لأن سقوط مكناسة في أيديهم نهائيا إنما وقع بعد وفاة المؤلف بما يزيد عن عشر سنين. راجع الذخيرة السنية، ص. 36 ومحمد بنشريفة أبو المطرف، ص. 134

(8) من علماء فاس وزهادها، توفي عام 597 هـ. التشوف، ص. 335

الفاتحة

في ذكر التواتر وحده. ونتلوه بذكر الآحاد من بعده.

المقدمة الأولى.

في جواز الكرامة وحقيقتها، ورأي أئمة السنة ومشايخ الصوفية في ذلك وطريقتها.

المقدمة الثانية

في موجباتها وأحكامها وأنواعها وأقسامها.

والخاتمة

في ذكر الولاية والولي، وذكر ما يختار من أقوال الناس فيها بمقال جلي، مستعينين بالله، وما توفيقنا إلا به.

الفاتحة

اعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور، انقسام الأخبار الى قسمين تواتر وآحاد. فالتواتر عبارة عن كل خبر رواه مخبرون يعلم صدقهم في خبرهم ضرورة. وقال آخرون هو كل خبر رواه الجم الغفير والعدد الكثير الذي لا يجوز تواطؤهم على الكذب في مستقر العادة. والآحاد عبارة عن كل خبر لا يحصل منه أكثر من غلبة الظن بصدق من أخبر، واحدا كان أو أكثر، ما لم تبلغ الكثرة الى العدد الذي يقع العلم الضروري بصدقها (٤) في خبرها. وزادت طائفة قسما ثالثا سمته بالاستفاضة، أعظمهم قدرا الأستاذ أبو إسحاق (9). وقد نوزع، ولسنا له الآن. ومبتغانا الخبر المتواتر، ونحن إن شاء الله نجلو عنه كل خفاء وساتر، على حكم الإختصار، وإيراد النكت القصار، مستعينين بالله، وما توفيقنا إلا به.

---

(٤) بصرفها

(9) إبراهيم بن محمد الإسفرايني، فقيه شافعي متكلم ذو تصانيف جليلة، توفي بنيسابور عام 418 هـ. وفيات الأعيان، 1 28.

فنقول التواتر على قسمين تواتر لفظي وتواتر معنوي، فالتواتر اللفظي شروطه أربعة

الأول أن يخبروا عن علم لا عن ظن، لأن أهل بغداد لو أخبروا عن طائر ظنوه حماما أو أن شخصا رأوه مقبلا ظنوه زيدا لم يقع العلم بخبرهم.

الثاني أن يكون علمهم ضروريا مسندا الى محسوس.

إذ لو أخبر أهل مصْر عظيم كبغداد ومصْر وغيرهما عن حدوث (٥) العالم وأشباهه لم يحصل العلم بخبرهم، وهذا أيضا معلوم بالعادة، وفي قدرة الله أن يجعل ذلك سببا للعلم في حقنا.

الثالث أن يستوي طرفاه وواسطته في هذه الصفات، وفي كمال العدد. فاذا نقل الخلف عن السلف، وتوالت الأعصار، ولم تكن الشروط قائمة في كل عصر، لم يحصل العلم بصدقهم، لأن خبر أهل كل عصر خبر مستقل بنفسه فلابد فيه من توفير الشروط، ولما كان كذلك، لم نقدر على تشكيك أنفسنا فيه. والله أعلم.

الرابع في العدد. والمرضي أن أقل عدد يحصل به العلم الضروري معلوم لله سبحانه وتعالى وليس معلوما لنا ولا سبيل إلى معرفته، فإنا لا ندري متى حصل علمنا بوجود مكة وبوجود الشافعي، ويعسر علينا تجربة ذلك وإن تكلفناها، وسبيل التكلف أن نراقب أنفسنا إذا قُتل رجل في السوق مثلا وانصرف جماعة عن موضع القتل، ودخلوا علينا يخبرون عن قتله، فإن قول الأول يحرك الظن، وقول الثاني والثالث يؤكده، ولا يزال يتزايد تأكيده الى أن يصير ضروريا لا يمكننا أن نشكك فيه أنفسنا. فلو تصور الوقوف على اللحظة التي يحصل العلم فيها ضرورة وحفظ حساب المخبرين وعددهم لأمكن الوقوف، ولكن درك تلك اللحظة أيضا عسير، فإنه تتزايد قوة الإعتقاد تزايدا خفي التدريج نحو تزايد عقل الصبي المميز الي أن يبلغ حد التكليف ونحو تزايد ضوء الصبح الى أن ينتهي إلى حد الكمال، فلذلك بقي هذا في غطاء من الإشكال، وتعذر على القوة البشرية إدراكها. فأما ما ذهب إليه قوم من التخصيص بالأربعين، أخذا من الجمعة، وقوم إلى التخصيص بالسبعين،

---

(٥) حدث.

أخذا من قوله تعالى واخْتارَ موسى قوْمَهُ سبْعينَ رَجُلاً لمِيقاتِنا (10)، وقوم إلى التخصيص بعدد أهل بدر، فكل ذلك تحكمات فاسدة لَا تناسب الفرض ولا تدل عليه، ويكون تعارض أقوالهم دليلا على فسادها. فإذاً، لا سبيل لنا إلى حصر عدد، لكنا بالعلم الضروري نستدل على أن العدد الذي هو كامل عند الله تعالى قد توافقوا على الإخبار.

فصل : والتواتر المعنوي هو كل خبر حصل العلم به ضرورة أيضا عن معنى من المعاني كلي لم يتوافق الجم الغفير والعدد الكثير على نقل معنى جزئي من آحاده، ولكن اتفقوا على معان جزئية شتى، كل يخبر عنه على حكم شرط التواتر اللفظي من نقله عن مشاهد محسوس. وهذا مثل شجاعة علي رضي الله عنه، وجود حاتم. فإن ذلك معلوم بالضرورة، نجد أنفسنا مضطرين إلى العلم بشجاعة هذا وجود هذا، وإن لن لم ينقل الجم الغفير والعدد الكثير آحاد وقائع علي رضي الله عنه في حروبه في الجاهلية والإسلام، وكذلك جود حاتم، ولكن نقل الجم الغفير والعدد الكثير على الانفراد والتعداد الذي يقصر عن عدد نقلة الخبر المتواتر المعنوي، واللفظي، فقال زيد فعل كذا يوم كذا، وقال عمرو فعل كذا يوم كذا. واجتمع في هذا جم غفير وعدد كثير لا يمكن تواطؤهم على الكذب في مستقر العادة، فحصل من هذا، وان جاء متفرقا، أن عليا شجاع وأن حاتما جواد، محققا.

قال المؤلف رضي الله عنه هذا ما قاله العلماء وتلقيناه عن المحققين. وأنا أرى هذا في حق علي ليس كذلك، لأن أفعاله في الجمل وصفين فاق نقلته عدد التواتر عند المحققين المحصلين. فشجاعته متواترة (٦) لفظا ومعنى.

---

(٦) ب تواترت.

(10) الآية 155 من سورة الأعراف.

المقدمة الأولى

في جواز الكرامة وحقيقتها

قال إمام الحرمين (11) كافة الأئمة اتفقت على تجويز انخراق العادة للأولياء ولم يوثر عن أحد من أهل الحق فيها توقف إلا ما كان من الأستاذ أبي إسحاق فإنه قال في بعض مصنفاته إنها لا تبلغ مبلغ خرق العادة وإنما مبلغها إجابة الدعوة، أو موافاة ماء في بادية في غير موضع توقع المياه، ونحو ذلك. ولا نعلم من اشتهر عنه ذلك من الفقهاء إلا أبا محمد بن أبي زيد (12) رضي الله عنه وبعض ضعفه أهل الحديث. والدليل على جوازها أنا نقول ما من أمر يخرق العوائد إلا وهو مقدور للرب سبحانه ابتداء، ولا يمتنع وقوع شيء لتقبيح عقلي، إذ العقل لا يُحَسِّنُ ولا يقَبِّحُ، بل ذلك الى الشرع.

قال المؤلف رضي الله عنه ولو لم يكن من مقدور الحق سبحانه لما ظهر على أيدي الرسل أمثالها معجزة لهم. وفي ذلك جحد النبوة وإفحام الرسل.

قال المؤلف رضي الله عنه وقال بعض العلماء الدليل على جوازها أنه أمر موهوم حدوثه في العقل، لا يؤدي حصوله الى رفع أصل من الأصول. فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده، وإذا وجب كونه مقدورا لله تعالى، فلا شيء يمنع من جواز حصوله.

قال المؤلف رضي الله عنه لا يخلو المنكر أن ينكر جوازها عقلا أو وقوعها سمعا. فالدليل على جوازها عقلا أن ذلك لو امتنع لكان ممتنعا

(11) أبو المعالي الجويني، شيخ أبي حامد الغزالي، توفي عام 478هـ.

(12) أبو محمد القيرواني المتوفى عام 386هـ.

لذاته أو لصورته، وليس كذلك، فإنه من قبيل الجائزات المقدورات للحق سبحانه، ولو لم يكن جائزا مقدورا لم يقع عروضه معجزة للنبي. والمنكر للكرامة يقر بذلك أو يكون ممتنعا لما يتولد بجوازه من مفسدة وإفضاء الى محال، ولا يمتنع إلا لأدائه إلى مفسدة ومحال لإبطال التحسين والتقبيح بالعقول، وفرّقنا بينها وبين المعجزة كما سيأتي إن شاء الله. بل لنا أن نقول على حكم المسامحة بل فيها وجوه من المصلحة واللطف المانع عن الفحشاء الداعي الى الطاعات. ومن أوضحه تثبيت من ظهرت على يديه من أهل التقوى، فإن ذلك من ثوابه في الأولى، ومما يشهد له أنه سالك المنهاج الأولى، ويزعج من دونه الى التمسك بالعمل للأزكى (٧) والسبيل للأهدى، وحسبك بهذا مصلحة وكفى. وقد قال قوم إن ظهور الكرامات علامة على أحوال صدق من ظهرت عليه. فمن لم يكن صادقا فظهور مثله عايه لا يجوز. قالوا والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الإستدال موهوم، ولا يكون ذلك الا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه وذلك الأمر هي الكرامة التي أشرنا اليها.

فإن قال قائل لو كان لها في الحقيقة أصل كما تزعمون لكان أولى الناس بها الصدر الأول من هذه الأمة والسلف الصالح، وذكر من معالي رتبهم في الفضل والدين المتين والعلم المبين وصحة اليقين، وهم بشهادة الرسول صلوات الله عليه وسلامه خير القرون. قال عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (13). وهذا الذي قالوه باطل، وليس له حاصل من أوجه عديدة، فإنا بصدد تجويزها الآن لا في وقوعها بحكم القلة أو الكثرة. ثم الكرامة عند معظم مثبتيها لا تثبت على شيوع وشهرة. بل الرجل المكرم بها يكتمها على قدر منزلته مع فقد اختباره لها أو ثبوته، فكلما ازداد رفعة وفي القُرُبات درجة كان أكتم لكراماته، وهو من دأب الأولياء عندما يبدو من أسرار الحق سبحانه وتعالى ما يبدو، ولذلك وبخ المشائخ المتقدمون بعض من ظهرت عليه نهياعن التحدث بها، ولا يبعد مع ذلك تظاهرها على الصحابة رضي الله عنهم مع كتمانهم لها ثم

---

(٧) ا للأذكى.

(13) أنظر الجامع الصغير للسيوطي، ص

ما ذكرنا تكلف، إذ الذي نقل من كراماتهم رضي الله عنهم لو جمع بَعُدَ حصره.

فصـــل

قال المؤلف رضي الله عنه وها نحن نورد منها ما حضرنا ذكره على حكم الإختصار، بجوامع كلم قصار. فاللمحة الدالة تكفي ذوي الألباب، وترفع عما خفي عنهم الحجاب، وتفتح لهم عما استبهم غلق الباب. فهذه قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذي بطن بنت خارجة متداولة مشهورة (14). ومن كراماته أن ابنه عبد الرحمان كان طليعة للمشركين. فكان إذا أقبل دعا له أبو بكر وإذا أدبر دعا عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تدع عليه وقل اللهم اهده. ففعل ذلك. ثم جاء فأسلم. وقال كنت إذا جئتكم أضاءت الأرض، وإذا ذهبت أظلمت الأرض مرارا. وحديث البخاري في صحيحه، قال حدثنا أبو النعمان قال حدثنا معتمر (٨) بن سليمان قال حدثني أبي عن أبي عثمان النهدي عن عبد الرحمان بن أبي بكر أن أصحاب الصُفَّة كانوا ناسا فقراء، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وان أربع فخامس أو سادس، وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة، وذكر الحديث إلى قوله فما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها، فقال لامرأته يا أخت بني فراس ! ما هذا ؟ فقالت لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات. فأكل أبو بكر ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عقد، فمضى الأجل فقرينا اثنى عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع رجل فأكلوا منها أجمعون (15).

وما رواه عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد عن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر قال اشتكى أبو بكر الصديق، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فخرج من عنده ثقيلا لما يرى به، فدخل على عائشة فأتته ليحدثها

---

(٨) معتمد.

(14) الموطأ، كتاب الأقضية، 40.

(15) الحلية، 1 328.

عما رأى منه، إذ أبو بكر يستأذن، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمتعجب لما عجل له من العافية. قال له أبو بكر والذي أكرمك لنمت فرأيت جبريل فيما يرى النائم جاءني فسعطني سعطة فقمت لا أجد شيئا

وما رواه ابن شهاب عن محمد بن جبير (٩) بن مُطعم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سمع الوحي يلقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّكَ لاَ تَهْدي مَنْ أحْبَبْتُ ولكنَّ اللَّهَ يهدي منْ يشاءُ وهُوَ أعلمُ بالمهتدين (16).

وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دعائه سارية بن زنيم وتحريزه إياه وهو على منبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ورحى الحرب تدور بأكناف نهاوند يا سارية الجبل فسمعه، وحرز جيشه في الجبل وسمع جميع الجيش ذلك كما سمعه أهل مسجد المدينة. وهذه آية مبينة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح المتفق عليه قد كان في الأمم محدثون، فان يكن في أمتي محدثون فعمر بن الخطاب منهم (17).

وما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك (18).

وما ثبت في الصحيح المتفق عليه من قول النبي صلى الله عليه وسلم له يا عمر ! أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. قال في أول الحديث اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد (19)
وحديث عبد الله بن أبي زيد قال بينما عمر بن الخطاب في إبل الصدقة اذ انفلتت منها ناقة فذهبت، فلف عمر إزاره وذهب في إثرها وهو يقول اللهم إياك نعبد وإياك نستعين. قال فردها حتى دخلت الحظيرة.

وما خرجه مالك رضي الله عنه في *موطئه* عن يحى بن أبي سعيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل ما اسمك ؟ قال جمرة ! قال ابن من؟

(٩) ب جابر، وهو ابن جبير بن مطعم بن عدي، قال عنه ابن هشام كان أعلم قريش (السيرة، ص 135).
(16) الآية 56 من سورة القصص
(17) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب 6.
(18) نفس المصدر والكتاب والباب.
(19) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، 1.

قال ابن شهاب ! قال ممن ؟ قال من الحرقة ! قال أين مسكنك ؟ قال: بحرة النار ! قال بأيها ؟ قال بذات لظى. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أدرك أهلك ! فقد احترقوا (20). قال فكان كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وما ذكر مالك عنه بمثل هذا الإسناد أنه كان في العام الواحد على أربعين ألف بعير يحمل الرجل الى الشام على بعير ويحمل الرجلين الى العراق على بعير، قال فجاءه رجل من أهل العراق فقال يا أمير المؤمنين احملني وسحيما ! قال ناشدتك الله أسحيم زق ؟ قال نعم (21) !.

وما رواه جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه رجل من بني جشم فقال يا أمير المؤمنين اني طلقت امرأتي في الجاهلية ثنتين ثم طلقتها منذ أسلمت واحدة فما ترى ؟ فقال له عمر ما سمعت في ذلك بشيء وسيدخل عليك رجلان فسلهما، فدخل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الرحمان بن عوف.

والأثر المشهور الذي رواه سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نفر من منى، أناخ بالأبطح ثم كوم كومة من بطحاء فألقى عليها طرف ردائه ثم استلقى ورفع يديه الى السماء ثم قال اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط. قال فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات رحمه الله (22). وزلزلت المدينة في زمانه وأهلها واثقون بما ترك فيهم نبيهم صلى الله عليه وسلم من أمانة. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه والأرض ترتج وترجف ثم ضربها بالدرة وقال قري ألم أعدل عليك ؟ فاستقرت من فورها ونقل الرواة عنه أنه قال لأهل المدينة يا أهل المدينة ! أحدثتم والله، لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم.

وقصة عثمان بن عفان رضي الله عنه في التفاحة التي هبط بها جبريل من الجنة فشمها النبي صلى الله عليه وسلم وحبا بها أبا بكر فشمها أبو بكر ثم ردها أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبا بها عمر

---

(20) الموطأ، الإستئذان، 35

(21) الموطأ، الجهاد، 38

(22) الحلية، 1 54

فشمها عمر وردها الى رسول الله عليه وسلم فشمها رسول الله صلى عليه وسلم وحبا بها عثمان فشمها وهم أن يردها فانفلقت في يده فإذا فيها سطر من نور فيه مكتوب تحية الله لعثمان. رواه الليث بن سعد عن أبي عمر عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر. وخرج ذلك أبو القاسم الربعي في *كتابه*.

وما ذكره ابن أبي الدنيا مرفوعا الى طعمة ابن عمر [و] (١٠) قال كان رجل قد يبس وشحب من العبادة، فقيل له ما شأنك ؟ قال اني كنت حلفت أن ألطم عثمان، فلما قتل جئت فلطمته، فقالت لي امرأته أشل الله يدك وأصلى وجهك النار. فشلت يميني وأنا [أخاف النار.

وكذلك ما رواه صالح ابن أبي الأخضر عن الزهري عن سويد] (١١) بن يزيد عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله وسلم جلس وجاء أبو بكر وعمر وعثمان فتناول النبي صلى عليه وسلم سبع حصيات أو تسع حصيات فوضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فتناولهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، فتناولهن فوضعهن في يد عمر فذكر مثل ذلك، ثم في يد عثمان مثله.

وقصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مما أسنده عمر بن أبي بكر الصدفي يرفعه الى ابن مسعود قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فغدا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الغلس، وكان يحب أن لا يسبقه إليه أحد، قال فإذا هو في صحن الدار ورأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فسلم ورد عليه وقال له اني أحبك ولك عندي مديحة أزفها إليك، قال: قل ! قال أنت أمير المؤمنين ! وأنت قائد الغر المحجلين (23)، أفلح من تولاك، وخاب وخسر من تخلاك، فبحب محمد أحبوك، وببغضك (١٢) لن تنالهم شفاعته، ادنُ إلى صفوة الله وأخيك (١٣) وابن عمك فأنت أحق به. قال فدنا علي فأخذ برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فصيره في حجره فلما انتبه النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي ! ما هذه الهينمة ؟ فأخبره

(١٠) ساقط من ب.
(١١) ما بين معقفتين ممحو في ب.
(١٢) ب يبغضهم.
(١٣) ا أخوك.
(23) الحلية، 1 ،63.

والقصة المشهورة عنه من رواية إسماعيل بن أبي أويس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ووجبت التعزية، جاء جاءٍ يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال السلام عليكم، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرم الثواب. قال علي رضي الله عنه أتدرون من هذا ؟ قالوا لا ، قال الخضر.

وقصته المشهورة حين كتب معاوية الى أبي موسى يسأله عن النازلة التي وقعت بأرضه وهي أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله أو قتلها فأشكلت عليه، أن يسأل له عنها عليا رضي الله عنه فقال [ان هذا شيء لم يقع بأرضي عزمت عليك يا أبا موسى لتخبرني، فقال :] (١٤) إن معاوية كتب إلي، فقال علي أنا أبو حسن، ان لم يقم أربعة شهداء فليعط برمته. وهذا من أصدق الفراسات وأوضح الكرامات، أسندها مالك والليث عن يحيى بن سعيد رحمه الله عن سعيد بن المسيب أن رجلا من أهل الشام يدعى ابن خيبرى

والقصة التي أسندها علي بن بندار القاضي الى أبي مكين، قال مررت أنا ورجل من آل بني (١٥) أمية على دار في حي من مراد قال أترى هذه الدار ؟ فقلت نعم ! قال فان عليا مر بهم وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجته فدعا الله أن لا يكمل بناؤها. قال فما وضعت عليها لبنة. قال فكنت أمر عليها (١٦) وهي لا تشبه الدور.

وقصة سعد بن أبي وقاص في سرعة الدعاء، كما خرج في الصحيح واللفظ للبخاري عن جابر بن سمرة قال شكا أهل الكوفة سعدا الى عمر فعزله واستعمل عليهم عمارا فشكوه حتى ذكروا أنه لا يحسن أن يصلي، فأرسل اليه فقال يا أبا إسحاق ! إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن أن تصلي. قال أما أنا والله إن كنت لأصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم منها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين وأخف في الأخرين. قال ذلك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلا أو رجالاالى

---

(١٤) ما بين معقفتين ساقط من ب.
(١٥) ب : أبي.
(١٦) ب : بها.

الكوفة، فلم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال أما إذ نشدتنا الله فان سعدا لا يسير بالسوية، ولايقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. فقال سعد ألا (١٧) والله لأدعون بثلاث اللهم ان كان عندك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن. فكان بعد ذا اذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن (24).

وروى عيسى بن مسكين بسند، الى عامر بن سعد بن أبي وقاص قال قدم سعد بن أبي وقاص من أرض له والناس عكوف أو مجتمعون على رجل، وإذا هو يسب عثمان وعليا وطلحة والزبير. فنهاه، فكأنه أغراه بهم، فقال ما تريد الى سب أقوام هم خير منك ؟ لتنتهين أو لأدعون عليك ! فقال انه ليخوفني كأنه نبي. فدعا سعيد بماء فتوضأ ثم صلى ركعتين وقال اللهم إن كان سب أقواما سبق لهم منك خير أسخطك بسبهم فأرني به الغداة آية تجعله بها آية للعالمين. قال فتخرج نجيبة من دار بني فلان نادة لا يرد رأسها شيء، فتفرق عنه الناس وجعلته بين قوائمها فوطئته حتى طفيء. قال عامر فأنا رأيت الناس يتبعونه ويقولون استجاب الله لك أبا إسحاق.

وعن أبي بكر بن أبي الدنيا قال حدثنا الحسن بن أبي الدنيا قال حدثنا الحسن بن أبي داود قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثني أبي عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف أن إمرأة كانت تطلع على سعد بن أبي وقاص، فنهاها، فلم تنته، فاطلعت عليه يوما وهو يتوضأ فقال ساء وجهك ! فعاد وجهها في قفاها.

وقصة سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل. ذكر الزبير بن بكار بسند يرفعه الى نافع عن ابن عمر أن مروان أرسل الى سعيد بن زيد ناسا يكلمونه في شأن أروى بنت أويس، وكانت شكته الى مروان بن الحكم، فسأله مروان عن ذلك، فقال أترون أني ظلمتها حقها وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم شبرا من الأرض طوقه يوم القيامة الى سبع

---

(١٧) ب : أما.

(24) صحيح البخاري، كتاب الأذان، 95.

أرضين ؟ فألزمه مروان اليمين. فمكنها مما ادعت وقال اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها وتقتلها في دارها. وفي رواية وتجعل قبرها في دارها. وفي رواية، في بئر. قال الزبير في حديثه فوالله ما ماتت حتى عمي بصرها وجعلت تمشي في دارها فوقعت في بئر لها فكانت قبرها. قال الزبير بن بكار، وقد أسند هذا الحديث ثم أتى السيل بعد ذلك فكشف عن الضفيرة التي كانت بينهما فخرج الأمر كما قاله سعيد، فجاء سعيد الى مروان فأقسم عليه لتركبن معي ولتنظرن الى ضفيرتها، فركب معه مروان، وناس معه، حتى نظروا الى ضفيرتها (25).

وأما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فكرامات خديجة رضي الله عنها من رؤيتها لجبريل وتكرر ذلك منها. وكذلك عائشة رضي الله عنها، أسند ابن عباس الدوري عنها قالت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبة شديدة فنظرت فإذا معه رجل على برذون عليه عمامة بيضاء قد سدل طرفها بين كفيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع يديه بعرف برذونه، فقلت يا رسول الله ! لقد راعتني وثبتك ! من هذا ؟ قال ورأيته ؟ قلت نعم ! قال ومن رأيت ؟ قلت دحية الكلبي ! قال ذلك جبريل. وفي رواية عنها بينما هو عندي، تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء (١٨) رجل، قالت فارتاع ووثب وثبة منكرة، وخرجت فقمت فإذا رجل على دابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع يده على المعرفة (١٩) يناجيه، وقال في آخره فان ذلك جبريل أمرني أن أخرج الى بني قريظة (26).

وقصة عائشة رضي الله عنها في شطر الشعير الذي توفي عنه النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة فأكلت منه زمانا طويلا حتى كالته ففني.

وقصة أم سلمة ودخول الخضر عليه والسلام عليها وحديثه معها وإعلام النبي صلى الله عليه وسلم إياها أنه الخضر، من رواية سحنون بن سعيد رفعه إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرج ودخل

---

(١٨) ب سلم.

(١٩) المعرفة موضع العرف من الفرس.

(25) الحلية 1 96.

(26) طبقات ابن سعد، 8 44 والحلية، 2 26

عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من دخل عليك ؟ فقالت رجل ! فذكرت سمته وهديه فعرضت عليه الغذاء فأبى، فعرضت عليه الدهن والترجل (٢٠) فقبل، وسألته هل له من زوجة فقال لي زوجتان آوي إليهما بيضاء وسوداء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العبد الصالح الخضر، وصدق، وزوجتاه الليل والنهار.

وكذلك ما ذكر من *كرامات الحسن والحسين* حيث كانا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى صلى العشاء الآخرة وهما يثبنان على ظهره، فإذا ركع وسجد وضعهما وإذا قام رفعهما. فلما انصرف من الصلاة وضعهما على فخذه، فقال له أبو هريرة أحملهما إلى أمهما يا رسول الله ؟ قال لا ! فبرقت برقة، فقال الحقا بأمكما. فما زالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما.

وما رواه أبو عاصم النبيل عن أبي جريج عن محمد بن شهاب قال لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، لم يرفع حجر بالشام الا وتحته دم.

قال المؤلف رضي الله عنه وهذا من أعظم الآيات. ولولا الإكثار والخروج عن الإختصار لأتينا من فضائل أهل البيت بما لا يكاد يسعه طومار، مثل حديث العباس، واستقساء عمر به، [وتوسله الى الله سبحانه بعم نبيه واجابة الله سبحانه دعاءه وسقيهم به،] (٢١).

وحديث *ابن عباس* في رؤية جبريل عليه السلام، وقول النبي صلى الله عليه وسلم أرأيته يا عبد الله ؟ أما إنك ستفقد بصرك. وروى أبو جهضم عن ابن عباس رأيت جبريل عليه السلام مرتين ودعا لي مرتين (27).

وقصته المشهورة في حين وفاته والمرور بجنازته جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق فدخل في النعش فلم ير بعد. وفي رواية طائر عظيم حتى خالط أكفانه. قال فكانوا يرونه علمه (28).

---

(٢٠) التراجيل الكرفس وهو بقلة من أحرار البقول المعروف.
(٢١) ما بين معقفتين ساقط من ب.

(27) سنن الترمذي، كتاب المناقب، الباب 42.
(28) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب 10، والحلية 1 329.

وقصة أبي ذر ولبثه ثلاثين ليلة ويوما ما له طعام إلا ماء زمزم وسمنه حتى تكسرت عكن بطنه (29).

وكذلك ما يوتر عن سلمان رضي الله عنه حيث دخل علي مريض وهو في الموت فقال لملك الموت يا أيها الملك ! ارفق به ! فأجابه إني بكل مؤمن رفيق (30) وتسبيح القصعة بينه وبين أبي الدرداء

وقصة أسيد بن حضير وعباد (٢٢) بن بشر في إضاءة العصا ليلا لهما، وذلك مدون في الصحيح.

وقصة أسيد بن حضير وتنزل السكينة لقراءته، وذلك مدون في الصحيحين (31).

وقصة عمران بن حصين وتسليم الملائكة عليه وذلك مدون في الصحيحين (32).

ورؤية مطرف بن الشخير على جسده، وهو مريض، ثلاثة أنوار عند رأسه وعند وسطه وعند رجليه، قال فسألته عن ذلك فقال تلك قراءة *ألم تنزيل*، السجدة. لا أزال أقرأها ليلا ونهارا، وكان لا يدع قراءتها كل أنى(33).

وقصة أنس من رواية ثابت البُناني حين قحطت أرضه فتوضأ وخرج الى البرية وصلى ودعا فالتأمت السحاب وجاء المطر حتى ملأ كل شيء، فلما سكن المطر، قال انظروا ! فنظروا، فلم تعد أرضه الا قليلا (34). وما نقل عنه في كشفه للنور في أكف قوم مدوها يدعون الله بها، وما شاهده في غزوة تبوك من الذئب وكلامه للرعاء.

وقصة سعد بن معاذ حين رمي يوم الأحزاب فقطع أكحله أو أبجله فحسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم فحسمه أخرى فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال اللهم لا تخرج نفسي

---

(٢٢) ب عمار، وهو عباد.

(29) الحلية، 1 158

(30) الحلية، 1 204.

(31) حياة الصحابة، 4 408.

(32) حياة الصحابة، 4 405.

(33) الحلية، 2 206.

(34) حياة الصحابة، 4 526.

حتى تقر عيني من بني قريظة ! فاستمسك عرقه فما قطر قطرة حتى نزلوا على حكمه. الحديث. فلما فرغ من قتلهم انفتق جرحه فمات. وفي اهتزاز العرش لموته، وفي رواية، لروحه. وذلك صريح في الصحيح. وفي بعض طرقه: اهتز عرش الرحمن (35)

وقصة أبي هريرة في المزود، حيث أكل منه حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر وعمر وعثمان، فلما قتل عثمان انتهب منزله فذهب المزود (36).

وقصة العلاء بن الحضرمي حين جهد جيشه العطش، فتوضأ وصلى ودعا فقال يا حليم يا علي يا عظيم، أغثنا واسقنا ! فنشأت سحابة فصبت فشرب القوم وسقوا دوابهم ومشى جيشه على ماء خليج من البحر حين أرادوا عبوره إلى عدوهم ولم يجدوا سفنا فقال خذوا برؤوس دوابكم، ثم دعا بالدعاء الأول، قال فعبرنا وما جاوز (٢٣) الماء حوافر الدواب. ثم موته ودفنه بالبحرين، وندمهم على أن يعمقوا له، فكشفوا عنه فلم يجدوه في قبره. وفي بعض طرقه، أن بعثه كان الى هجر، فحال بينه وبينهم نهر عظيم، وحبس عدوهم عنهم السفن حين عرفوا قصدهم لغزوهم فقال لأصحابه صفوا ثم كبروا. ثم تقدم هو وأصحابه فمشوا على الماء، فلما رأى أهل الحصن منهم ما لم يروا مثله، فتحوا لهم الحصن (37).

وقصة أبي بن كعب رضي الله عنه حين هاجت سحابة في غزاة فدعا فقال اللهم أصرف عنا أذاها ! فأصاب الناس المطر ولم يصبه ولا من كان معه، فعرف ذلك عمر وقد أصابه وأصحابه البلل فقال ما هذا ؟ فقالوا إن أبا المنذر دعا الله، فقال ألا دعوتم الله لنا معكم (38).

وقصة تميم الداري رضي الله عنه حيث أقسم عليه عمر في نار استعرت بالمدينة أن يردها فصغر نفسه وقال ما عسى أن أكون أنا ؟ فجعل يحوشها حتى أدخلها المكان الذي خرجت منه ثم اقتحم بإثرها، فخرج ولم

---

(٢٣) ب جاز.

(35) صحيح البخاري، مناقب الأنصار، باب 12.

(36) حياة الصحابة، 4 551.

(37) الحلية، 1 7 وصفوة الصفوة، 695.

(38) حياة الصحابة، 4 590.

يضره شيء (39)، فقال عمر [ما من شهد كمن لم يشهد، وما من رأى كمن لم ير] (٢٤). خرجه البغوي في *كتاب الصحابة*.

وقصة عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين مر بقوم قد حبسهم الأسد، فمشى اليه ابن عمر حتى أخذ بأذنه ثم قاده حتى نحاه عن الطريق ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سلط على ابن آدم إلا من خافه(40). الحديث

وقصته في أمته التي حبلت من فلان الذي كان أخذه (٢٥) ولدا وأنكر فقال عبد الله أرأيت إن كان لما جاءت به زوائد كزوائدك ؟ فكان كذلك، فجلدهما عبد الله بن عمر الحد كليهما.

وعن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر، قالت زلزلت المدينة على عهد عمر بن الخطاب، فقام على المنبر فقال أيها الناس ! ما هذا ؟ ما أسرع ما أحدثتم ! لئن عاد لا ساكنتكم (٢٦) فيها. فأتي، فقيل له قد خرجت نار من الحرة لا تمر على شيء الا أحرقته وأكلته. فقال أيها الناس أطفئوها بالصدقة. قال فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، وتتابع الناس، فأتى عمر فقيل له قد طفئت، فقال لو لم تطفأ لخرجت أجري حتى أنزل عليها. قال وزلزلت المدينة حتى اصطفقت السرر وابن عمر قائم يصلي فما علم.

وما ذكر عن عوف بن مالك حين رقد في ديريحنا وهو إذ ـ ذاك مسجد، فانتبه، فإذا سبع في البيت، فقام إلى سلاحه فزعا، فقال له السبع لا تخف! انما أنا رسول أرسلني اليك رب العالمين (41).

وقصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه حين انكسرت به السفينة، فلقي الأسد فدله على الطريق يهمهم ويدفعه بمنكبه حتى أقامه على الطريق، ثم همهم، فعلم أنه يسلم عليه (42).

---

(٢٤) ب ما من شهدكم لم يشهد وما من رآكم لم ير.
(٢٥) ب اتخذه.
(٢٦) ب ساكنتم.

(39) الحلية، 2 129.
(40) حياة الصحابة، 4 498.
(41) حياة الصحابة، 4 499.
(42) الحلية، 1 369، وحياة الصحابة، 4 397.

وقصة أبي ريحانة حين ركب البحر فجعل يخيط، فسقطت إبرته فيه فقال عزمت عليك يا رب إلا رددت علي إبرتي فظهرت حتى أخذها وهاج عليه البحر فقال يا أيها البحر ! اسكن، إنما أنت عبد حبشي، فسكن حتى صار كالزيت (43).

وقصة خالد بن الوليد حين أتي إليه برجل معه خمر فقال اللهم اجعله عسلا ! فصار عسلا (44).

وقصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حين ركب البحر غازيا فهاج حتى أشرفوا على الهلاك، ثم ناداهم مناد، احبسوا حتى أخبركم، سبع مرات. قالوا إنا لا نستطيع أن نحبس. قال احبسوا علي أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه أنه من عطش نفسه في يوم شديد حره كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة. قال أبو بردة. فلم يأت على أبي موسى قط يوم شديد الحر إلا صامه (45).

وقصة النعمان بن قوقل (46) حين أقسم على الله يوم أحد أن يقتل فيدخل الجنة، فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النعمان أقسم على الله فأبره ولقد رأيته يطأ في خضر الجنة ما به من عرج.

وقصة عبد الله بن جحش في يوم أُحُد أيضا حين أقسم على الله أن يقتلوه ويبقروا بطنه ويمثلوا به وقال فإذا لقيتك يارب فسألتني فيم هذا ؟ فأقول فيك. فلقي العدو ففعل به ذلك. فقال سعيد إني لأرجوا أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله (47).

وقصة عبد الله بن رواحة حين أغمي عليه فجعلت أخته عمرة تبكي وتقول واجبلاه ! واكذا واكذا ! فأفاق فقال ما قلت لي شيئا إلا قيل لي أنت كذلك.

وقصة أبي زيد بن أخطب قال كانت لي بضع عشرة شاة فكنت أحلبهن، فأقعم إنائي من لبنهن كلهن، فأقعمت يومإنائي من لبن إحداهن

---

(43) كتاب الرقائق لابن المبارك، ص 304.

(44) حياة الصحابة، 4 : 591، ولفظ الحديث فيه مختلف.

(45) الحلية، 1 260.

(46) في سيرة ابن هشام (1 694) النعمان بن مالك القرقلي.

(47) حياة الصحابة، 1 761.

فالتفتت إلي الشاة فقالت أوجعتني يا أبا زيد فأكفأت الإناء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أصبت أصاب الله بك. وذكر الحديث.

وقصة أم أيمن رضي الله عنها حين خرجت مهاجرة صائمة فعطشت واشتدّ عطشها حين أمست فكادت تموت، فلما غربت الشمس إذا حفيف فوق، فرفعت رأسها فإذا هي بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض، فكانت تقول ما عطشت منذ شربت ذلك وقد صمت في الهواجر وتعرضت للعطش(48).

وقصة زائدة مولاة عمر بن الخطاب وكانت كثيرا ما تأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فأتته ذات بكرة فقالت يا رسول الله ! أستأنس ؟ قال استأنسي يا زائدة إنك لموفقة. فقالت بأبي وأمي عجنت عجينا لأهلي فخرجت من وراء دار شيبة لأحتطب، فلما شددت حزمتي سمعت وقع فارس فالتفتت فإذا بفارس لم أر فارسا أحسن مركبا منه ولا أحسن وجها منه ولا أحسن ثوبا منه ولا أطيب ريحا منه وقال كيف أنت يا زائدة ؟ وكيف محمد ؟ فقلت بخير يا عبد الله، وينذر بأيام الله. فقال إن حملتك رسالة تبلغينها محمدا؟ قالت لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (48 مكرر). فقال إنك لموفقة، إذا أتيت محمدا فاقرئيه مني السلام وقولي له إن رضوان خازن الجنة يقول لك: يا محمد ! ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به أنا وإن الله قسم الجنة لأمتك ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا، وثلث تشفع فيه فتشفع. قالت ثم مضى فذهبت لأحمل حطبي فثقل علي وارتعدت فرائصي فالتفت إلي، فقال يا زائدة ! أثقل حطبك عليك ؟ فقلت نعم قالت فأخذ قضيبا أخضر كان في يده فهوى للحطب فرفعه به ثم التفت فإذا هو بصخرة ناتئة فقال لها أيتها الصخرة ! أقبلي، فأقبلت، فقال لها احملي هذا الحطب مع زائدة إلى باب عمر بن الخطاب. فوالله يا رسول الله لو رأيتها تتدكدك (٢٧) بين يدي حتى رأت باب عمر، فألقت الحطب ثم

---

(٢٧) تتركرك.

(48) الحلية، 2 67.

(48 مكرر) الآية 286 من سورة البقرة.

(49) حياة الصحابة 4 430.

رجعت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا بنا فإنا في أرض مجر، فأتى باب عمر فنظر إلى آثار الصخرة ذهابها ومجيئها.

وقصة زنيرة (49) وقصة أم غنيم حين رد الله عليهما أبصارهما.

وقصة الفريعة وموت ابنها ابراهيم، وإحياء الله تعالى له بدعوتها. وما ذكر من كرامات من تكلم بعد الموت من الصحابة.

وقصة الفتى الأنصاري من الصحابة، التي رواها أنس (50) فأحياه الله بدعاء أمه.

وقصة زيد بن خارجة وهو من سروات الصحابة الأنصار الذين تكلم بعد الموت في زمن عثمان رضي الله عنه (51).

وقصة أخي ربعي بن حراش فهو ممن تكلم بعد الموت.

وقصة أهبان بن صيفي حدثت عنه ابنته عديسة أنه قال لا تكفنوني في قميص مخيط. فلما قبض وغسل، أرسلوا إلي أرسلي بكفنه، فقالوا قميص ! فقلت إن أبي نهاني أن أكفنه في قميص، فقالوا لابد منه. فأرسلت إلى قميص له عند القصار فأُتي (٢٨) به وألبس وحملوه إلى قبره وأغلقت بابي، وشيعته، فرجعت إلى منزلي فوجدت القميص في البيت، فأرسلت إلى الذين غسلوه فقلت لهم كفنتموه في القميص ؟ فقالوا نعم ! فقلت لهم في هذا ؟ قالوا نعم !

وقصة مصعب (٢٩) وعوف بن مالك حين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهما فقال أحدهما لصاحبه من مات منا تراءى له الآخر. فمات مصعب قبله فتراءى له عوف حتى رآه فقال كيف أنت يا أخي ؟ قال بخير ! قال ما صنعت ؟ قال غفر لنا يوم دعونا الله عز وجل عند حانوت فلان ولم يكن في أهلي مصيبة إلا لحقني أجرها، حتى هر مات منذ ثلاثة أيام وابنتي تموت إلى ستة أيام، وإذا هو بحلقة سوداء مطوق، فقلت ما هذه الحلقة السوداء ؟ قال دين علي دنينيرات أخذتها من فلان اليهودي جاري وهو

---

(٢٨) ب فأوتى.

(٢٩) ا صعب.

(50) حياة الصحابة، 4 483.

(51) حياة الصحابة، 4 : 479.

بخاتمه في قرن معلق فخذها وادفعها إليه. الحديث. فغدا على أهله فكان ذلك كله حقا.

وقصة شريك بن خماشة النميري حين قدم مع عمر رضي الله عنه بيت المقدس، فخرج يستقي من جب سليمان بن داود عليهما السلام، فخرت دلوه في الجب، فنزل يستخرجها، فابتدره ملكان، فحمله أحدهما فأدخله الجنة فجعلا يسيران به فيها، فلما مرا تحت شجرة ذات أفنان وورق ناضر فمد يده وأخذ ورقتين وضعهما الملك، وقال لو ملكت يدك ما زلت أسير بك فيها إلى يوم القيامة، فخرج عند صلاة الظهر، فأتى عمر وأنبأه بالذي كان، وبسط يده على الورقتين فقال [له] عمر اضمم يدك. وبعث إلى كعب الأحبار (٣٠) فأتاه، فقال يا أبا إسحاق هل تجد في كتاب الله التوراة رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة في الدنيا ثم يخرج منها ؟ قال: نعم ! فهل تسميه ؟ قال نعم، ذلك شريك بن خماشة النميري. قال أتحليه ؟ قال نعم، وجعل كعب يحليه وعمر ينظر إلى الرجل فلا يخرم من حليته. وقال انظر أتراه في القوم؟ قال فنظر كعب قال نعم ! هذا [هو](٣١) يا أمير المؤمنين.

قال المؤلف رضي الله عنه هذه نبذ في الاستدلال كافية، ونكث بإزهاق تلك الشبه وافية، أرتك ولوجا للمعارض بها فيما لا يحسن وهجوما، ولاحت بآفاق سماء الحقائق نجوما، وأعتدت لشياطين المبطلين رجوما، وأوضحت جهالتهم بالأخبار، وضعف نظرهم في الاعتبار. وإنما ذكرنا قليلا من كثير، ونبهنا على الخفي بالشهير. ولو ذكرنا كرامات التابعين، ومن بعدهم من أولياء الله المتقين، لفجرنا أرض الحقائق عيونا، ونشرنا من الرقائق فنونا تتلو فنونا. وكفى بالله وليا وكفى بالله معينا.

---

(٣٠) ا الحبر.
(٣١) ساقط من ب.

فصل
في حقيقة الكرامة

أما لفظها، فذكر الجوهري في صحاح اللغة قال التكريم والإكرام بمعنى، والإسم منه الكرامة. قال ويقال حمل إليه الكرامة وهي مثل النزل، وأما حقيقتها فهي كل فعل خارق للعادة ظهر على يدي عبد ظاهر الصلاح في دينه، مستمسك بطاعة الله في أحواله، مستقيم الطريقة في تصرفاته. إذ قد حصل الإجماع على أن الكرامة لا تحصل إلا على يد متمسك بطاعة الله تخصيصا له وتفضيلا. كما أجمعوا أنها لا تظهر على يدي فاسق.

قال المؤلف رضي الله عنه قال القاضي أبو بكر بن الطيب (1) رحمه الله واختلف أئمتنا في ظهور الكرامة، هل تدل على أن من ظهرت عليه ولي الله تعالى أم لا فمن صائر إلى أنها تدل على أنه ولي الله كما تدل على تمسك صاحبها في الحال بطاعة الله، إذ لا يكرم الله تعالى بها إلا وليا أو نبيا، ثم تدل على أن صاحبها يختم له بالسعادة، إذ لو لم يكن كذلك أو كان ممن علم الله أنه سيختم له بالشقاوة لما أكرمه بما ظهر على يديه، وكان حكمه كحكم عدو الله. وصار آخرون إلى أنها لا تدل على أمن في العاقبة، وهذا هو الأصح والأوضح، إذ لو دلت على ذلك لاستيقن السعادة وركن إلى علمها، وهذا مما منعه الصدر الأول وأطبقوا على أنه لا أمن للمطيعين من مكر الله.

---

(1) الباقلاني، البصري، المتكلم المشهور، توفي ببغداد سنة 403 هـ.

فصل

في الفرق بين المعجزة والكرامة

قال قوم الكرامة تقع على حكم الإختيار للولي، ولكن لا يجوز وقوعها على قضية الدعوى. فلوادعى الولي الولاية واعتقد في دعواه ما يخرق العادة، لم يقع ذلك وامتنع. قالوا فهذا فرق بين الكرامة والمعجزة. وهذا فرق غير مرضي عندنا. ولا يمتنع ظهور خوارق العوائد مع الدعوى المفروضة. وقال آخرون الفرق بين المعجزة والكرامة أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وأن تنقلب العصا ثعبانا وأن يحيى الموتى إلى غير ذلك من معجزات الأنبياء، كرامة لولي. فهذه الطريقة غير سديدة أيضا. والمرضي عندنا تجويز خوارق العادات في معرض الكرامات. وقال آخرون الفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبي يذيع ذلك ويقطع القول به. والولي لا يذيعها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا. وقال آخرون المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء، ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة. ولم تكن المعجزة معجزة لعينها وإنما كانت معجزة بحصولها على أوصاف كثيرة، فما اختل (١) شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة. وإحدى تلك الشرائط دعوى النبوة. والولي لا يدعي النبوة. فالذي يظهر لا يكون معجزة، قاله سيف السنة القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني وحكاه عنه الأستاذ أبو القاسم بن

(١) ا : فمن احتل.

هوازن (2) وقال هذا الذي نعتمده ونقوله بل ندين به. وقال إمام الحرمين فإن قيل فما الفرق بين الكرامة والمعجزة ؟ قلنا لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة ووقوع الكرامة من دون ادعاء النبوة. وقال في موضع آخر وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإن المعجزة لا تدل لعينها وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي ونزولها منزلة التصديق بالقول. والملك الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه ويطابق دعواه، لا يمتنع أن يصدر منه مثله إكراما لبعض أوليائه. ولا يقدح مرام الإكرام في قصد التصديق إذا أراد التصديق. ولاخفاء بذلك على من تأمل. والله أعلم.

فـصـل

اختلف أئمتنا في ظهور الكرامة هل تدل على أن من ظهرت عليه أنه ولي لله أم لا؟ فمن صائر إلى أنها تدل على ذلك كما تدل على تمسك صاحبها في حال وقوعها بطاعة الله تعالى، إذ لا يكرم الله بها إلا وليا ونبيا، ثم تدل على أنه يختم لصاحبها بالسعادة، إذ لو لم يكن كذلك، وكان من ظهرت عليه ممن سيختم له في معلوم الله بالشقاوة، لكان حكمه أنه عدو لله (٢) على ما يفسر في باب الموالاة والمعاداة.

قال المؤلف رضي الله عنه

وقال آخرون إنها لا تدل على أمن في العاقبة. قال القاضي أبو بكر وهذا هو الأصح والأوضح، إذ لو دلت على ذلك لا ستيقن السعادة وركن إلى علمها، وهذا مما منعه الصدر الأول وأطبقوا على أنه لا أمن للمطيعين من مكر الله، ونطق به نصوص الكتاب.

فصل

قال القاضي اتفق الفرق من أصحابنا على أن الكرامة لا تدل على العصمة، ولا على صحة لهجة من ظهرت عليه، فاعلموا ذلك. قاله في *كتابه الكبير في الكرامات*.

---

(٢) ا الله.
(2) القشيري، الفقيه المحدث، اشتهر برسائله في الزهد وقواعد التصوف. حدث ببغداد. توفي عام 465 هـ

قال المؤلف رضي الله عنه

أما قوله إنها لا تدل على العصمة فصحيح، ولكنها إن لم تدل على عصمته دلت على حفظه واستقامة حاله، وإن ظهرت عليه لمم من الصغائر مما لا يزري بمنصب صاحبه ولا يدل على قلة مبادلاته بدينه، كما لا يشترط في عدالة الشاهد ذلك، إذ وقوع ذلك اللمم من الصغائر منه لا يقضي بفسقه بإجماع الأمة. وقوله ولا على صحة لهجة من ظهرت عليه، غير صحيح على القول بأن الولي يتحدى، وسنعقد في ذلك فصلا. هذا إن أراد بصدق اللهجة أنه ولي الله وأن آية ذلك كرامته، وإن أراد بصدق اللهجة أن لا يكون كذابا فليس كذلك لأن معظم الكذب أو كله فسق، ولا تظهر الكرامة على يدي فاسق.

فصل

صار كثير من المحققين إلى أن الكرامة لا تقع اختيارا للولي، ولو قصد وقوعها لم تقع. وفصلوا بهذا الوجه بين الكرامة والمعجزة. قال إمام الحرمين: وهذه الطريقة غير مرضية عند المحصلين، بل السديد أن لا يمتنع وقوع الكرامة على مراد الولي وارتياده وقصده وبالوجه الذي يجوز وقوعها مع غير اختياره يجوز وقوعها مع اختياره. ثم تنفصل المعجزة من الكرامة مع ذلك من وجوه أوضحنا ذكرها فيما تقدم.

فصل

قال المؤلف رضي الله عنه

والذي يجوز، وقوعها على اختياره اختلفوا في جواز وقوعها مع الدعوى فيها والتحدي بها. فمنع ذلك الأكثرون. والدعوى أن يقول أنا المخصوص بكرامة الله، وأنا المتمسك بطاعته، وأنا الذي يخرق الله العادة لي. والجماهير من القائلين بالكرامة لم يجوزوه أصلا، إذ لا يبقى عندهم بينها وبين المعجزة [فرق. قال القاضي أبو بكر لورد الأمر إلى العقل لم يكن فيه ما يمنع ذلك فإن تعلق الكرامة بدعوى الولي الولاية، لا يمنع تعلق المعجزة] (٣) بدعوى النبي النبوة، وهذا مستبين لكل محصل. وقال القضي أبو بكر لا

---

(٣) ما بين معقفتين ساقط من ب.

يمتنع وقوعها مع الدعوى إذا رام بها تخلصا من هلكة أو تخليصا لغيره، بحيث يعذره الصالحون ولا ينخلع ما بيده من الدعوى عن شبههم.

فأما إذا ادعى بديا (٤) من غير حاجة وضرورة مختالا مفتخرا (٥) متعززا بحال نفسه قاطعا على الله بكرامته عليه فلا تظهر الكرامة على من هذا وصفه من حيث ثبت الإجماع على أنها لا تظهر على من علمنا أنه على خلاف صفات الصالحين، فيعلم بما ظهر عليه أنه ليس منهم.

فصل

ومما تكلم فيه الأئمة ما سبق من ذكر انفلاق البحر، وانقلاب العصا حية، واحياء الموتى، وانطاق العجماء، وما أشبه ذلك من عظائم آيات الأنبياء. وتحزب المحصلون في ذلك حزبين، فصار بعضهم إلى ما تمسك به نفاة الكرامات حيث قالوا لو جاز انخراق العادة من وجه لولي لجاز ذلك من كل وجه. ويجر ذلك إلى أن يكون ما كان معجزة لنبي كرامة لولي، وذلك يفضي إلى تكذيب النبي المتحدي بآيته القائل لمن تحداه لا يأتي أحد بمثل ما [آتيت به] (٦) فلو جاز إتيان الولي بمثله لتضمن ذلك نسبة الأنبياء إلى الافتراء، وهذا تمويه لا تحصيل له، إذ لا خلاف أن الشيء الواحد من خوارق العوائد يجوز أن يكون معجزة لنبي بعد نبي، ولا يكون ظهوره ثانيا مكذبا لمن تحدى به أولا، ولا ينجيهم من ذلك أن يقولوا النبي يقيد دعواه في خطاب من تحداه ويقول لا يأتي أحد بمثل ذلك إلا من يدعي النبوة صادقا في دعواه. قلنا إن ساغ تقدير تقييد الدعوى بما ذكرتموه، فلا يمتنع أيضا أن يقول نبي لا يأتي بمثل ذلك متنبئ ولا مخرق ولا مفتر ولا من يريد تكذيبي. وتخرج الكرامات عن هذه الجهات. وليس تقييد أولى من تقييد. وصار بعضهم إلى أنا لا نمنع توقع هذه الآيات العظام في وقتنا من بعض الأولياء ولا يكون ذلك قادحا في المعجزة، إذ الفرق بين الكرامة والمعجزة بدعوى النبوة والتحدي بما يفرق بين صغير ما وقع من الكرامة وكبيره، وإلى هذا صغى إمام الحرمين. قال في كتابه وقد صار بعض أصحابنا إلى أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز تقدير وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وتنقلب العصا حية وأن يحيي الموتى،

---

(٤) ب بريئا
(٥) ب فخورا

إلى غير ذلك من آيات الأنبياء عليهم السلام، وهذه الطريقة غير سديدة أيضا، والمرضي عندنا تجويز خوارق العادات في معارض الكرامات. وقال سيف السنة هذا غير سديد. فإنا وإن جوزنا هذا من وقوعه فنستخف (٧) عقل مترقبه وذلك مما نعلمه ضرورة. والعادة مستمرة على ما هي عليه، فلو أراد الله تعالى ذلك قلب العادة وشككنا فيما نجده. ثم مضى في كلامه على أن مجوز وقوع فطرة بشر سوي من غير أب ولا أم في وقتنا، وتصيير الجبال ذهبا إبريزا، وتسييل الأودية دما عبيطا، إلى غير ذلك مراغم للضرورة. فإن قيل هذا تناقض، إذ قد جوزتم ما عددتموه ثم منعتموه، قيل إنما جوزناه مقدورا ثم منعناه وقوعا، والعادة على ما عهدناها استمرارا. وهذا حسن. قال القاضي وليس ينضبط هذا الضرب بحصر، ولكن المرجع فيه إلى العلوم الضرورية، فكل ضرب من الخوارق يجد العاقل من نفسه العلم الضروري بأنه غير متوقع فهو ممتنع على قول للقاضي، وكل ضرب لا يستبعد توقعه منها ولا يدرك عدم وقوعه بالضرورة، فوقوعه ممكن.

فصل

قد أجاب قوم عن إظهار هذه الكرامات التي وقع أمثالها معجزة للرسل أو ما يزيد عليها وعلى قول من قال كيف يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء عليهم السلام. قيل هذه الكرامات لاحقة بمعجزات (٨) أنبياء أولئك الأولياء. فكرامات أولياء أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاحقة بمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لكن كل من ليس بصادق في الإسلام لا تظهر الكرامات عليه. فكل نبي ظهرت كرامته على واحد من أمته فهو معدود من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على من تابعه المعجزات (٩).

فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك. وهذا أبو زيد البسطامي (3) سئل عن هذه المسألة فقال مثل ما

---

(٦) ب أوتيت.
(٧) ا : فيستحق.
(٨) ب لمعجزات.
(٩) ا المعجزة.
(3) طيفور بن عيسى، الزاهد المشهور، المرجوع إليه في حكمة التصوف ورقائق السلوك، توفي عام 261 أو عام 264.

للأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مثل ما لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رضي الله عنه وهذا فيه نظر، والله وأعلم.

فصل

اتفق أهل التحصيل على الامتناع من تسمية الكرامات معجزة لوجهين: أحدهما اتفاق أهل الشرع على تخصيص تسمية المعجزة بآية الأنبياء عليهم السلام، والثاني إنباؤها [عن اقترابها](١٠) بالتحدي وتعجيز المتحدي(١١).

فصل

فإن قيل فهل تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا على جهة الكرامة، فالجواب عنه أنه لا تجوز لحصول الإجماع عليه وصحة الحديث الوارد فيه. وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري سمعت الإمام أبا بكر بن فورك(4) يحكي عن أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(5) أنه قال في ذلك قولين في *كتاب الرؤية الكبير*(6).

قال المؤلف رضي الله عنه الحديث الذي أشرت إليه خرجه مسلم في كتاب الفتن من صحيحه (7) وقال حدثني حرملة بن يحيى التجيبي قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب [عن عمر بن الثابت الأنصاري أنه أخبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم](١٢) أن سالم بن عبد الله أخبره أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب انطلق

---

(١٠) ساقط من ب.

(١١) ب المتعدي.

(١٢) ساقط من ا.

(4) محمد بن الحسن الأنصاري الإصبهاني الشافعي، متكلم فقيه مفسر واعظ، كثر سماعه بالبصرة وبغداد، وحدث بنيسابور، له تآليف عديدة، توفي عام 406 هـ.

(5) إليه تنسب الطائفة الأشعرية، توفي على القول الأرجح سنة 324 هـ

(6) لعله يقصد كتاب *العمل في الرؤية* الذي لم تصل إلينا منه سوى قطعة في كتاب *كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، لابن عساكر، راجع فؤاد سزكين تاريخ التراث، ج 2، ص. 377.

(7) وأخرج الحاكم عن أبي أمامة الباهلي حديثا في الموضوع، راجع حياة الصحابة، 4، ص. 202.

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط قِبَل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطيم بني مغالة، الحديث. قال في آخره قال ابن شهاب وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حذر الناس الدجال أنه مكتوب بين عينيه "كافر"، يقرأه من كره عمله أو يقرأه كل مؤمن. وقال تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت. ولعل هذا الإجماع لم يبلغ أبا الحسن أو بلغه على طريقة الآحاد فلم ير العمل به عنده واجبا على رأى بعضهم فيه. وأحد قوليه تمت به كلمة الإجماع فصار حجة عليه. وإن هذا الحديث في امتناع هذه الكرامة لكاف، وانه بالمقصود من الرد على من ذهب إليه لواف.

فصل

من أئمتنا من منع تجويز توالي الكرامات حتى تصير في حكم العوائد. وهذا نحو مما قدحت به المعتزلة في معظم الكرامة. وقال معظم القائلين بالكرامة إنه يجب تواليها بحيث لا تشيع فتلحق في حقوق الناس بالمعتاد. والتقصي عن هذا أنها وإن توالت، فتتميز للمكلف المعجزة من الكرامة بإظهار المعجزة وإشاعتها والتحدي بها، والإقتران لها بدعوى النبوة، وبسائر شروطها مما ظهر.

فصل

واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، وعمارة الأزمنة بالموافقات، ولزوم التمادي على الإستقامات، والعصمة عن المعاصي والمخالفات، والحفظ عما يزري بمناصب ذوي الهيئات، والتنزه عن مواقع الريب والشبهات. فذلك من أجل الكرامات، ومن أجل الشواهد على صدق من وفق لذلك وأوضح العلامات. فذلك عند ذوي التحقيق ليس بدون رتبة الماشين على الماء والمتحلقين في جو السماء.



المقدمة الثانية
فيما يشهد بوقوع الكرامات
وبعد الفراغ من جواز وقوعها
إيراد الدلائل عليه

فالدليل السمعي في ذلك قصة أصحاب الكهف وما جرى لهم من الآيات، لا سبيل إلى جحده، ولا مجال في رده في مواقع السمع، وما كانوا أنبياء، إجماعا من المسلمين قاطبة. وكذلك ما ظهر على يدي الخضر من إقامة الجدار وغيره، وما عرفه مما خفي عن (١٣) موسى. وكذلك قصة ذي القرنين وتمكينه، وكذلك آصف بن برخياء صاحب سليمان الذي قال لسليمان ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، وكذلك ما خصصت (١٤) به مريم عليها السلام بضروب من الآيات، فكان زكرياء صلوات الله عليه يصادف عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويقول متعجبا (١٥) ﴿أَنَّى لَكِ هَٰذَا﴾ (8) ؟ وتساقط الرطب الجني عليها في غير أوان الرطب. وقال بعضهم إنما الجذع النخلة البالية. إلى غير ذلك من آياتها. وكذلك أم موسى عليها السلام، ألهمت من أمرها ما لا خفاء به حتى طابت نفسها بإلقاء ولدها في

---

(١٣) أ : على.

(١٤) أ : خصت.

(١٥) ا : معجبا.

(8) الآية 37 من سورة آل عمران

اليم. وإلى غير ذلك. ولم يصر أحد من أهل التواريخ والأقاصيص إلى أنها نبية صاحبة معجزة وتحد. فإن قيل إنها (١٦) لم تكن متحدية لما لم تكن مرسلة، قيل هذا تسليم للمسألة، إنما تدل المعجزة على الصدق مع التحدي. فإذا جوزتم ذلك ولا يقدح في المعجزة، فما المانع منه في الكرامة؟ ولا مخلص منه. والله أعلم. وكفى بقول النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (9). وجرى في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ما لا ينكره منتم إلى الإسلام، وذلك قبل النبوة والإنبعاث.

والمعجزة لا تسبق دعوة النبوة كما قدمنا. فإن تعسف بعضهم وزعم أن الآيات التي استدللنا بها كانت معجزة لنبي كل عصر، فذلك اقتحام للجهالات. فإنا إذا بحثنا على العصر الخالية لنبي كل عصر لم نلف الآيات التي تمسكنا بها مقترنة بدعوى، بل كانت تقع من غير تحد لمتحدي. فإن قالوا: إنما وقعت للأنبياء عليهم السلام دون دعواهم، فشرط المعجزة الدعوى. فإذا فقدت كانت خوارق العادات كرامة للأنبياء، ويحصل بذلك غرضنا في إثبات الكرامات. و [لو] (١٧) لم يكن في مولد النبي صلى الله عليه وسلم تحد تستند إليه آياته فقد أوضحنا الكرامات جوازا ووقوعا، عقلا وسمعا.

فصل

وقد يستدل بمجموع حكايات الصالحين. ووجه الإستدلال بها أنه ما زال الناس في الأعصار السالفة قبل نبغ الزائغين يتخاوضون في الكرامات للصالحين من بني إسرائيل وغيرهم. وأكثر تخاوضا فيه الصحابة رضي الله عنهم. وشيوعه فيهم لا ينكر. فلو كان مما يقدح في المعجزات، وهي من أعظم أركان الدين، لانتدب علماؤهم للرد على ذاكرها ومجوزها وحسم الباب فيها. فلما لم يؤثر عنهم إلا التفاوض فيها أو ترك النكير على الخائض فيها دل ذلك على جوازها وبطلان قول مبطلها.

فصل

قال المؤلف رضي الله عنه ولم يزل دأب الأنبياء والصديقين والعلماء والصالحين التصديق بالكرامات. ففي الصحيح المتفق عليه أن النبي

---

(١٦) انما.

(١٧) ساقط من ا.

(9) رواه الترمذي وأبو نعيم، راجع الجامع الصغير للسيوطي، 2 23.

صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت إليه فقالت إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث. فقال الناس سبحان الله ! بقرة تتكلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يرعى غنما له إذ عدا عليها الذئب على شاة منها فاشتد الرجل خلفه حتى استنقذها منه، فذهب منه غير بعيد، فأقعى على عقبيه فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس ذئب يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر. وما هما ثم (10). وقال صلى الله عليه و سلم حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت فيهم الأعاجيب.

ومن الصحيح المتفق عليه قصة جريج الراهب وكلام شاهد براءته (١٨) في المهد.

ومن الصحيح المتفق عليه حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار (١٩). ومن ذلك حديث قس بن ساعدة. وقد رويناه من طرق، في جزء مجموع. فالذي يخص ما نحن بسبيله ما روي عن ابن عباس أنه قال لما ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد إياد قال لهم ما فعل قس بن ساعدة الإيادي؟ فذكر الحديث وفيه فقال رجل من القوم يا رسول الله ! لقد رأيت من قس عجبا قال وما رأيت ؟ قال بينما أنا بجبل لنا يقال له سمعان في يوم شديد الحر إذا بقس بن ساعدة في ظل شجرة عند عين من ماء وإذا حوله السباع وهي تشرب فإذا زأر سبع منها على صاحبه ضربه ثم قال كف حتى يشرب الذي ورد قبلك، ففزعت، فقال لي لا تخف ! وذكر الحديث إلى قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله قسا.

ومن ذلك ما خرجه البخاري أيضا في الصحيح عن هشام بن عروة قال: كانت امرأة تغشى عائشة رضي الله عنها، قالت عائشة فلما كانت تجلس عندي مجلسا إلا تمثلت بهذا البيت

وَيَوْمُ الوِشَاحِ من تَعَاجِيبِ رَبِّنَا   أَلاَ إِنَّهُ من بَلْدَةِ الكُفْرِ أَنْجَانِي

---

(١٨) ب الشاهد ببراءته.

(١٩) ب غارة.

(10) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، 5.

قال هشام فقالت عائشة ما هذا البيت الذي تمثلين به؟ فقالت شهدت عروسا في الجاهلية ووضعوا وشاحها وأدخلوها مغتسلها، فأبصرت الحداءة حمرة الوشاح فانحطت عليه فأخذته. قالت فاتهموني وفتشوني حتى فتشوا في قبلي، قالت فدعوت الله حتى يبرئني منهم، فجاءت الحداءة بالوشاح حتى طرحته في وسطهم وهم ينظرون(11).

ومن ذلك ما رواه عبد العزيز بن أبي وراد عن نافع أن عبد الله بن عمر أضاف رجلا أعمى فأكرمه ابن عمر وأنامه في منزله الذي ينام فيه، فلما كان في جوف الليل قام ابن عمر فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم دعا بدعاء فهمه الأعمى، فلما رجع ابن عمر إلى مضجعه قام الأعمى إلى فضل وضوء ابن عمر فتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا بذلك الدعاء فرد الله عليه بصره فشهد الصبح مع ابن عمر بصيرا، فلما فرغ التفت إلى ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمان دعاء سمعتك البارحة تدعو به فهمته فقمت فصنعت مثل الذي صنعت فرد الله علي بصري. قال ذلك دعاء علمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أن لا نعلمه أحدا يدعو به في أمر الدنيا وهو اللهم رب الأرواح والأجساد البالية، أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها، وبطاعة الأجساد الملتئمة بعروقها، وبكلماتك النافذة فيهم، وأخذك الحق منهم والخلائق بين يديك ينتظرون فصل قضائك ويرجون رحمتك ويخافون عقابك، أن تجعل النور في بصري، وذكرك بالليل والنهار على لساني، وعملا صالحا فارزقني.

ومن ذلك ما رواه عبد الرحمان بن حكيم يرفعه إلى ابن عباس أنه قال إن لله عز وجل ملائكة في الأرض سوى الحفظة. فمن أصابه كرب أو عرجة بأرض ليس معه فيها أحد فأراد أن يستعين بمن يعينه على ما فدحه فليقل أعينوا عباد الله ! أغيثوا رحمكم الله ! فإنه سيعان إن شاء الله.

ومن ذلك ما رواه عباس الدوري يرفعه إلى أبي هريرة قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج إلى البرية فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونختبز! قال فإذا الجفنة ملأى عجينا وإذا الرحى تطحن وإذا التنور ملآن جنوب شواء. قال فجاء زوجها فقال عندكم شيء ؟ قالت نعم، رزق الله. قال فجاء إلى الرحى فكنس ما حولها، قال فذكر ذلك للنبي صلى

---

(11) صحيح البخاري، كتابة الصلاة، 57، وكتاب مناقب الأنصار، 26.

الله عليه وسلم فقال لوتركها لدارت أو طحنت إلى يوم القيامة (12). وفي رواية أبي رافع عن أبي هريرة أن رجلا مؤمنا كانت تحته امرأة مؤمنة، وذلك في بني اسرائيل، وأنهم أصبحوا يوما وليس عندهم طعام، فغسلت الخوان، وسجرت التنور وجعلت تعلل زوجها حتى نام، فقامت إلى جفنتها فوجدتها ملأى تدفق عجينا قد اختمر فذهبت إلى التنور فإذا فيه جنب لحم، فقال زوجها: من تصدق به علينا ؟ قالت له الرب تبارك وتعالى تصدق به علينا.

ومن ذلك ما رواه سفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث مائة راكب ترصد عيرا لقريش... وفيه قصة الحوت الذي ألقاه لهم البحر لما نفذ زادهم وقالوا نحن جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله (13). الحديث. وذلك مدون في الصحيح.

وما نقل من ذلك عن السلف التابعين، فمن بعدهم، من تصديقهم بها وتحاورهم في مجالسهم كوهب بن منبه وعامر الشعبي ومن بعدهم كسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وعبد الرحمان بن زيد وأحمد بن حنبل وسحنون بن سعيد وغيرهم رضي الله عنهم.

---

(12) مسند الإمام أحمد، 3، 421.

(13) حياة الصحابة، 4، 562.

ذكر كرامات الشيخ الصالح
أبي يعزى (1)

قال المؤلف رضي الله عنه وقد أطلنا النفس فيما أوردناه، فلنرجع إلى ما قصدناه، من ذكر كرامات الشيخ الصالح ووعدناه. ولن تخلو جملة كراماته. عن قسمي التواتر، وقد مضى القول في تحديد الظاهر منهما والمعنوي وإثباته (١).

فأما الإخبار بالغيوب وأنواع المكاشفات، وابداء [الأسرار] (٢) وإبراء المجانين والمرضى وشفاء ذوي العاهات على يديه والزمني، والإقتيات بشجر الدفلى، فثابت بالتواتر الظاهر على لسان العدد الكثير، والجم الغفير الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب في مستقر العادة. فإن المئين من الوافدين والزائرين والقاصدين أخبروا بذلك وشاهدوه أفواجا بعد أفواج وزمرا بعد زمر.

---

(١) ب إتمامه.
(٢) ساقط من ا.

(1) هذا العنوان من المحقق.
يلاحظ أن العزفي لم يهتم بذكر تاريخ وفاة أبي يعزى، وهو عام 572 هـ كما عند ابن الزيات وغيره. وقد اتفق الإخباريون على أن هذا الشيخ قد عمر طويلا، ولربما عاش مائة وثلاثين سنة. فيكون ميلاده على هذا في وقت الفتوح المرابطية بشمالي المغرب فتأتى له أن يعاصر ميلاد هذه الدولة وأمجادها وزوالها وتأسيس دولة الموحدين إلى عهد خليفتها الثاني أبي يعقوب وقد عرفنا في هوامش على ترجمته في كتاب التشوف (طبعة 1984) بأصله ونسبه ومراجع أخباره.

وأما سائر كراماته فثابت بالتواتر المعنوي كجود حاتم وشجاعة علي، وهذا حين فرغنا إليها وأقبلنا عليها، فلنذكر ما تلقينا منها على حكم الإسناد، مما يبهت أهل الإنكار ويقهر ذوي العناد. فإذا فرغنا منها أتينا بيسير مما بلغنا مرسلا مما لم ننقله مسندا، أو ألقي إلينا مسندا فنسينا إسناده لقلة الذكر وتطاول المدى.

وهذا ذكر ما بلغني من كراماته وآيات صدقه في ولايته وعلاماته رضي الله عنه

سمعت الشيخ الفقيه الزاهد المحدث أبا الصبر (2) أيوب بن عبد الله [رضي الله عنه] (٣) الفهري صاحبنا رحمه الله يقول رحلت إلى لقائه والرغبة في دعائه غير مرة، فقلما وصلت إلا عرفني من أصادف لديه أنه عرفه(٤) بوصولي وأني في الطريق، وأني ربما بوأني المنازل بأن يقول إني وأصحابي بمنزل كذا، وربما عرف بيوم وصولي، وربما حمل الحاضرين على لقائي، فتلقوني غير مرة وعرفوني بجملتهم أنه عرفهم أني أصل إليه في ذلك اليوم. فهذه كرامة من أنواع المكاشفات والاطلاع على غيب الكائنات.

وحدثني غير مرة أنه في بعض رحلته إليه صحبه، هو ورفقاؤه من جهة مكناسة الزيتون، رجل من أهل البادية من البربر، فحضرت الصلاة، فكان لا يصلي. فلما كان في يوم قدومنا عليه أشفقنا عليه من سطوة الشيخ وفضيحته له. وقلنا نحن قادمون على ولي من أولياء الله تعالى مكاشفاته معروفة وفضائحه للمجرمين غير مصروفة وأنت لا تقيم فريضة الله وعماد دين الله. قال فلما انتهينا إليه لقينا بخير ما لقي به الوافدين عليه ثم أقبل على ذلك الرجل فزجره ونهره وأخرجه من المسجد وقال باللسان الغربي (3) (٥)

---

(٣) زيادة في ب.

(٤) ب : عرف.

(٥) ب العربي.

(2) من كبار أصحاب أبي يعزى السبتيين، استشهد في وقعة العقاب بالأندلس سنة 609 هـ. راجع التشوف، ص. 415 والتكملة، 1 202 وجذوة الإقتباس، ص. 168، والإعلام، 3 71.

(3) لسان الأمازيغيين من سكان المغرب الذين يسميه الغير بالبربر.

إيمكر (4) يدخل المسجد ! وأنه قال ولا يصلي ! ففر أمامه، ثم لاذ به الحاضرون [يسألونه] (٦) عن السرقة، فقال لهم كنت ليس [لي] (٧) حزام فمررت بزوج في جهة مكناسة وليس معهما أحد فحللت الشبي منها، وهو الشراك من جلد البقر، فاحتزمت به. فأعظم الناس [ذلك] (٨) وبكى ناس منهم ودعوا. فهذه كرامة من ذلك النوع.

قال وصليت به في رمضان وقمت في تراويحه، فكنا إذا كان في آخر الليل وارتقبنا طلوع الفجر يخرج الناس ينتظرون المرة بعد المرة، فربما قال بعض المرتقبين طلع الفجر. وكان يكون رأسه علىٰ ركبتيه أو في ثوبه فيخرج رأسه ويقول [باللسان الغربي وريفو(5) غير مرة إلى أن يطلع الفجر فيخرج رأسه من الذي ذكرنا ويستنشق ويقول] (٩) أفُو أفُو(6) يعني الفجر فيبتدر الحاضرون فيشاهدون الفجر بلا ريب فيه. وشهد هذا منه الحاج الحسيب المسن الصالح أبو محمد بن عاصم (7) فقال إن الشيخ صديق ولا ينكر هذا من الصديقين ولا يتعجب منه، ألم تسمعوا (١٠) قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر هبت ريح من تحت العرش أو قال من ساق العرش أطيب رائحة من المسك فلا يجد ريحها إلا نبي أو صديق. وهذه كرامة عظمى وبيان أن له من مقام الصديقين المقام الأسنى.

وسمعته يقول رحلت إليه مرة راكب حمار لي فأرسلته يوما في المرعى، فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس فقالوا أدرك حمارك فهو في

---

(٦) سقط من ا.

(٧) ساقط من ا.

(٨) سقط من ب.

(٩) ساقط من ب.

(١٠) ب ألم تسمع.

(4) وردت هذه الكلمة في النسختين إيمكن، بنون في الأخير، وهو تصحيف والصواب أنها بالراء في الأخير سواء كانت مفردا إيمِكْرْ أو جمعا إيمِكَرْ.

(5) معناه لم يصبح بعد.

(6) وردت هذه الكلمة في المخطوطين مشكولة بفتح أولها وضم ثانيها مشددا هكذا أفُو. فإذا كانت تعني الفجر، اسماله، كما قال فهو كذلك، وإلا فشكلها بكسر أولها وفتح الثاني وتسكين الأخير إفَوْ، وهو فعل الإصباح، فيكون قوله إفَوْ ! إفَوْ ! أصبح ! أصبح !.

(7) الحاج وعاصم، والواو معناه ابن، كما ورد أيضا في التشوف، ص. 159 وص. 218.

الموت. قال فأسرعت نحوه فإذا هو يضرب بيديه ورجليه ويرمي فوه بالزبد، فكشفت عن سبب ذلك فقيل لي رعى زرع الشيخ وهو في الفشقار (8) فأصيب لوقته. قال فذهبت مبادرا إلى الشيخ فقلت يا ددًا (9) أبا يعزّى ! بهذا كان يدعوه الزائرون، ومعناه باللسان الغربي يا أبت، يمُوتْ أُغْيول إينُو (10) ! فقال وُرِيمُوتْ (11). فقلت ما هو إلا قد مات لأنه أكل متاعك. فقال وريموت، أنا متاعك والزرع متاعك والحمار متاعك. ثم ذهب معي إليه ففتح فمه فبصق فيه فقام من حينه لا بأس عليه. وهذه كرامة عجيبة.

وسمعته يقول كان يوتي بالمجانين فيقول للمجنون أَزَرْ ! (12) يعني: أنظر إلى كفي، وهو باسط كفه يحركها. فإذا نظر إليها صرع لحينه، ثم يأمر الجن بالخروج فيخرج ولا يعود ويبرأ المجنون. قال الفقيه أبو الصبر رحمه الله ربما قال عند تعجبه من قدرة الله وسروره بعظيم ما أعطاه الله ما نيلاً بُو تْكَشْكُوشِنْ (13) ؟ مانيلاً بوتكْشكُوشِنْ ؟ يعني أهل الرقى والعزائم. وهذه كرامة غريبة.

ومما حدث به عنه مشاهدة أيضا أكله لشجرة الدفلى على مرارتها وفظاعتها. وتسميها الأطباء شجرة الحمار. يقال هي من سمومه مثل رهج الفأر للفأر. وهذا مما شاهده الجم الغفير والعدد الكثير.

ونقل بعض الوافدين [عليه] (١١) أنه أخذها من فيه فأكلها حلوة عذبة، بل قال بعضهم إنه أخذ منه شيئا فجعله في عصيدة الشعير فاستحالت عذبة حلوة.

---

(١١) سقط من ا.

(8) معناه في المغرب كومة من سنابل الزرع بسوقها.

(9) ددًا في لسان أهل جبال فازاز وتادلا وما وراءها إلى الواحات تعني أبَتِ أو مولاي بمعنى سيدي، ولكن معنى السيادة والولاية الذي تتضمنه الكلمة مشبع بالمعنى القرابي في السياق العشيري، ومعنى الكلمة اليوم في المجال المصمودي أخي الأكبر.

(10) يمُوتْ أغيول إينُو مات حماري.

(11) وُرِيمُوتْ لم يمت.

(12) شكلها أَزَرْ، وفيها أيضا حسب اختلاف نطق المناطق زَرْ وَزَرْ.

(13) مانيلا بُوتْكَشْكُوشِن ؟ أين الذي يخرج الزبد من فمه ؟ قالها بمعنى يفيد تحدي المدعين للعزائم والرقى.

وسمعت الفقيه أبا الصبر رحمه الله يقول كان الشيخ الصالح الحسيب الفاضل الحاج ابن عاصم يختلف إليه، فرجع من عنده مرة في أول ذي حجة أو قبله بقليل، قال فقال يا حاج خذ إليك هذا الكبش برسم الضحية فما أمكنني مخالفته، فقلت نعم، ثم قلت في نفسي من لي بوصول من محل الشيخ إلى سبتة، وذلك نحو من عشرة أيام، وكنت راكبا على حماري الذي شخصت به إليه. ففهم الشيخ عني ذلك، فجر يده على وجه الكبش ثم على كفل الحمار أو نحو ذلك. وسمعت بعضهم يقول حك وجه الكبش بعراقيب الحمار، قال فوادعته وانصرفت وتبعني الكبش إلى أن انتهى إلى مراحل الغنم وهي في ذلك الطريق كثيرة، فتتصايح الغنم من فوق الطريق ومن تحتها فيقف الكبش ولا يمكنني الوقوف حتى يكون بيني وبينه مسافة فأقول مضى الكبش ثم يهز رأسه ويحرك ذنبه ويشتد خلفي كما يفعل الخروف مع أمه إذا كان يتبعها أو يرضعها حتى وصلته إلى متنان (14) قرية بخارج سبتة حرسها الله، وكانت مسكن الحاج الصالح في آخر عمره.

وسمعت الفقيه الصالح أبا الصبر رحمه الله يقول قصد إليه بعض أعيان الوقت وقد جن جنونا صعبا وكان يصرع كثيرا، فصرعه بما كان يصرع به غيره ثم قال له أنت كثير الزنا وقد شفاك الله من هذا فلن يعود إليك هذا الجن إلا إن زنيت، فإن فعلته عاد إليك. قال الفقيه أبو الصبر فحدثت بعد ذلك أنه بقي مدة لم يعد إليه، ثم ألم بذلك فعاد إليه كما كان أو أشد.

وحدثني الفقير أبو الصبر عنه بأكل الدفلى والمعالجة بها بعد مضغها لغير ما نوع من الأدواء.

وحدثني عنه الشيخ أبو الحسن (15) صاحبنا أن الفقيه أبا الصبر حدثه فقال إني عجبت من أكله الدفلى من غير أن أتكلم بذلك، فألقي ذلك في نفسه فأخذ مما في فمه منها فوضعه في فمي، فوجدته حلوا. والله أعلم.

ومما ذكره الشيخ الفقيه أبو الصبر المذكور من كرم أخلاقه وتواضعه ووفائه وحسن عهده قال كان يأتي عليه وقت، فلا أدري أذكر بعد صلاة

---

(14) متنة، عند البكري في المغرب، ص. 108

(15) أبو الحسن بن عبد الله، يصفه المؤلف في موضع آخر بالشيخ الخير. روى عنه عن أبي الصبر. من هؤلاء الفضلاء الذين يروي عنهم أصحاب المناقب، وقلما نجد لهم ترجمة في كتب الطبقات.

الصبح أم لا، يلاحظ (١٢) الكتب الموجهة إليه من إخوانه أو ممن سمع ذكره من المشتاقين إليه فلم يستطع الوصول إليه فكتب إليه يذكر حبه وشوقه أو يسأله الدعاء، فكانت معلقة في قبلته في جدران مسجده، فيدعو لأهلها واحدا واحدا، قال وفي بعض الأوقات، وأظنه كذلك بعد صلاته الصبح أو سبحة الضحى، قام إلى الوافدين والزائرين يقبل أرجلهم، فإن تعاظم ذلك أحدهم قال له من عرف عادته لا تعارض الشيخ ! فتلك عادته. قال وكان إذا ذكر فاضلا [أو عالما] (١٣) قال فعل مازيغ (16) أو قال. مازيغ معناه سيدي ومولاي. وربما خاطب زواره بمثل ذلك. قال وكان عنده من حسن السياسة والرفق بالقلوب والسعي في صلاح ذات البين وتواد الزوجين ما تشتهي سماعه الأنفس وتقر به العين. فقلما كانت تهدى عروس من أهل تلك البلاد المجاورة لبعلها حتى يوتى بها إليه برسم الدعاء لهما والتبريك (١٤) عليهما فيفعل ذلك ثم يكلمهما [حتى] (١٥) يذهب النفار والشراد [ويسرهما] (١٦) ويضحكهما حتى [يقوم] (١٧) بينهما من الأنس والتأليف المأمول والمراد، وينصرفا إلى بيت بنائهما (17).

ومما جرت به المقادير، وشهدت به العوائد، مفاتنة القبائل وتحزبهم للحروب وقتالهم للغوائل وغضبهم للعصبية، فكان من له منهم عقل وتفكر في تحسين العاقبة يدعو أو يدعى إلى الإرتفاع إلى الشيخ أبي يعزى والإنتهاء إليه، فلا ترد هذه الدعوة ولا يجرأ أحد منهم على التخلف، وإذا أصلح بينهم على أي وجه اقتضاه توفيق الله تعالى وإرشاده إلى ما تحسن عافية الخلق

---

(١٢) ب يخالط.
(١٣) ساقط من ب.
(١٤) ب التبرك.
(١٥) ساقط من ب.
(١٦) زيادة في ب.
(١٧) ب يقع.

(16) مازيغ الرجل الحر أو السيد، وقد ذهب هذا الإستعمال، وصار المفرد لا يعني في المجال المصمودي إلا الرجل الأبيض، بينما يستعمل الجمع إيمازيغن. للدلالة على مجموع سكان جبال فازاز، وتادلا وما يلي تلك الجهات من الواحات والتخوم الصحراوية إن كانوا من البيضان.

(17) في هذه الإشارة ما يفيد قدم عادة إشراف صلحاء هذه الجهات على طقوس التأهيل لعامة أهل القبائل.

على يديه به تلقوه بالقبول والرضى. ومن توقف جرب في نفسه وأهله وماله مقادير سوء القضاء (18).

ومن علامات الهدى والتخلف بآداب العلماء تسكينه للفتن الثوائر، وإطفاؤه لما شب الشيطان من قود النوائر، ودعوته للسمع والطاعة للأئمة والأمراء كل باد وحاضر.

ومما يدل، مما روى عنه، على أن الله تعالى آتاه علما (١٨) من لَدنه ما حدثني به الفقيه الفاضل أبو الصبر أنه قال يوما لحاضريه من طلبة وزهاد ومريدين وزوار كم للتوبة عندكم من شرط ؟ قال فقالوا ثلاثة شروط الندم على ما فرط في جنب الله، والإقلاع عما يكرهه الله تعالى، والعزم على ألا يعود إلى ما لا يرضي الله. فقال لهم لكن للتوبة عندنا مائة شرط.

قال المؤلف رضي الله عنه وكان ممن رحل إلى لقائه أيضا الشيخ الفقيه الراوية الزاهد الفاضل أبو الحسين (١٩) يحيى بن محمد الأنصاري عرف بابن الصائغ (19) فسمعته يقول صحبني قوم في وجهتي إليه أو جمعني وإياهم قدومنا عليه وكانوا تحدثوا في مرحلة من المراحل إلى أن ذكروا (٢٠) الشيخ فقال بعضهم هو جاهل أو عامي أو نحو هذا، فكان معهم رويجل أسيمر فعاب عليهم ذلك وقال تمشون إليه الأيام وتحملون إليه الركاب ثم تقعون فيه أو تغتابونه فقال فلما بلغوا إليه وسلمو عليه، أمر بإنزالهم في بيت، وأمر بحطب أخضر فأوقد فيه، ولعله كان فصل الحاجة الى النار مثل فصل الشتاء أو الربيع، فلقوا من ذلك شدة وتألما وضيقا، ثم جاءهم

---

(١٨) ب عطاء
(١٩) أبو الحسن
(٢٠) ب ذكر

(18) هذا العنصر هو الذي لعب دورا في تعزيز التأثير الإجتماعي والثقافي للصلحاء في أوساط القبائل، واتخذته موضوعا لها الدراسات المهتمة بما يسمى بالكاريسماتية.

(19) من زهاد سبتة، تلميذ أبي بكر بن ورزگ وشيخ ابن تاخميست. توفي عام 600 هـ. راجع التشوق ص 377 وصلة الصلة، ص 200 والتكملة 3 730 والذيل والتكملة، 8 413. وفي ترجمته بهذا المصدر الأخير ذكر ابن عبد الملك هذه القصة واللتين بعدها، وقد حدث بها عن أبي الحسن الرعيني وأبي القاسم العزفي ابن المؤلف رواية عن أبيه أبي العباس

بعد أمة فقال لهم [عجبا لكم] (٢١) تفارقون أوطانكم وأهليكم وتخرجون الى الله فيما تزعمون برسم (٢٢) زيارة شخص أحسنتم به الظن ثم تقعون فيه ولم يكن فيكم من غيّر ذلك وأنكره وقام بحق الله فيه الا هذا الغليم، لقد كان مقامكم في دياركم وبين أهليكم أقرب لسلامتكم وأقضى لحاجتكم. ثم صفح عنهم ودعا للجميع بخير.

وحدثني عنه الطالب الصين ابن أخته أنه سمعه يقول كنت عند الشيخ [الصالح] (٢٣) أبي يعزى مرة مع الشيخ الصالح أبي محمد بن عاصم، وكان إذا دخلنا بيته أجلسني أنا والحاج على سريره وأخذ في إطعام من حضر من الوفود والزوار، فقلت للحاج هذا الطعام غليظ ونحن لا نحتمله فقال لي فما الذي كان يصلح بنا ؟ فقال أو قلت رغيفات قمح [بسمن] (٢٤) وعسل. ثم حضر الطعام، وحلق الحاضرون حلقا، فأردنا النزول للتحلق مع الناس ونشاركهم فيما أكلوه، فأشار الينا أن مكانكم، ثم أتانا برغائف (٢٥) درمك وقال رغائف قمح بسمن وعسل، وقال (٢٦) لنا كلوا ما اشتهيتم.

وحدثني عنه أيضا قال: كنت عنده مع الحاج ابن عاصم المذكور، فوقعت أعيننا على أرخة (20) تامة (٢٧) الخلق جميلة الوصف، فقال لي الحاج: هذه الأرخة كانت تصلح أن تكون عندنا بمتنان نشرب لبنها، فلما أردنا الإنصراف قال لنا خذوا هذه الأرخة واحملوها الى متنان لتشربوا لبنها هنالك كما قلتم.

قال المؤلف رضي الله عنه، وكان ممن رحل إليه من صالحي قومنا وأفاضل أهل بلدنا الشيخ الحاج الصالح الزاهد العابد الحسيب أبو محمد عبد الله بن عاصم هو وابنه الحاج الصالح أبو القاسم عبد الرحمان (21) كما حدثنا عنه ابنه أنهما وصلا اليه في بعض المرات قال وكان من عادته مع الشيخ الحاج أبي محمد أثرته على القاصدين بانفراد (٢٨)

---

(٢١) زيادة في ب.

(٢٢) مكانها في ا كلمة غير مقروءة.

(٢٣) زيادة في ب.

(٢٤) ساقط من ب.

(٢٥) ا برغيف.

(٢٦) وقالوا

(٢٧) كاملة.

(٢٨) بإفراده.

(20) الأرخـة البقرة.

(21) ولد الحاج وعاصم التاجر السبتي المذكور أعلاه، وكان من المترددين على أبي يعزى حسبما في التشوف أيضا.

بمسكن لا يشاركه فيه (٢٩) أحد ولا يتكشف عليه، قال ابنه أبو القاسم فلما صلينا العشاء الأخيرة وتنقل الناس انصرف الشيخ الفاضل أبو يعزى الى منزله أو حيث شاء الله. وهي عادته، وانصرف الحاج الى بيته وأحيى تلك الليلة من مكان هنالك من الوافدين والزائرين، فأدرك بعضهم الكسل وغلب عليهم النوم. قال: فلما كان في آخر الليل أو على قدر منزلتين بقي منه، جاء الشيخ، على عادته، فثار النيام وانتظر الجميع صلاة الصبح. فلما طلع الفجر أقيمت الصلاة فدخل الجميع فيها. قال الحاج أبو القاسم ولوى عنقه الشيخ الصالح أبو يعزى الى النيام وعينهم واحدا واحدا ثم أخرجهم للوضوء، وقال: تصلون على غير وضوء !

قال المؤلف رضي الله عنه وحدث بهذه الحكاية بنحو منها الحاج الفاضل أبو محمد بن تمام (22) قال فعجبنا له من أين يعرف من يصلي بغير وضوء، فسألنا إمامه، وكان اسمه عبد الله، كيف يعرفهم الشيخ، فقال سألته عن ذلك فقال أشمهم فأجد منهم رائحة الكلاب. قال الحاج أبو القاسم وانصرف ليلة أخرى، ثم بعد ساعة كرس راجعا فسأل عن أبي رحمهما الله، فقلت له انصرف عند انصرافك أو قريبا منه على العادة، فخرج إليه فلم يكن إلا يسيرا حتى رجع وهو يبكي بكاء شديدا ثم تلاه الحاج الصالح أبو محمد يضحك، فنهضنا إليهما وعجبنا لهما فسمعناه وهو يقول للشيخ الحاج كشفنا عليك وما كان ينبغي لي ذلك حتى رأيت الحور العين خلفك، أو قال يصلون خلفك، والحاج الصالح يضحك ويقول لا بأس عليك [ولا حرج] (٣٠) يا يلّنور

قال الحاج أبو القاسم حدثني أبي قال زارني الخضر رضي الله عنه ليلة على مقدمة بعض أسفاري إلى الشيخ أبي يعزى فتحدث معي الى أن قال لي لما مات ابراهيم بن أدهم (23) رضي الله عنه صرخ صارخ بجبال الشام ألا إن أمان (24) أهل الأرض قد مات ! ألا إن أمان أهل الأرض قد

---

(٢٩) ا مما لا يشركه فيه.

(٣٠) سقط من ب.

(22) وصفه في غير هذا الموضوع «بالتاجر».

(23) الزاهد المشهور المتوفى عام 161 هـ.

(24) في المقصد للبادسي (ص 47) وقد نقل هذه القصة عن نسخة من *دعامة اليقين* إمام.

مات ! ثم قال الخضر ألا إن أمان أهل هذه الأرض قد مات ! ألا إن أمان أهل هذه الأرض قد مات ثم قال لي مات الآن أبو شعيب المعروف بأيوب السارية (25) قال الحاج الصالح فأرخت ذلك الوقت، فإذا موت أبي شعيب كان فيه. قال الحاج ثم رحلت الى الشيخ الصالح أبي يعزى، وكان كلما خرجت إليه عرّف بي وبشّر الإخوان بمقدمي وقال لهم يصل الآن الحاج وعاصم، نسبة (26) (٢١) باللسان الغربي، وخرج للقائي، فتلقاني على العادة، فبعد السلام قال لي يِمُوْتُ أمغار (27) أبو شعيب، فقلت قد عرفت، فقال لي عرفت الذي عرفك، ومعنا كان.

وكان من جملة من رحل إليه من أهل بلدنا الحاج الأجلّ الطالب التاجر أبو محمد عبد الله بن تمام السبتي نفعه الله بذلك، وافق الفقيه أبا الصبر في بعض أسفار الفقيه إليه. فمما حدث به مما شاهده أنه أُتي اليه برجل وامرأة مجنونين، وكان الرجل منهما أيّدا شديدا، فأدخل المسجد والشيخ لم يكن فيه حاضرا، فكان يلف الناس الثلاثة منهم والأربعة ويصرعهم، فضجوا، فجاء الشيخ فقال ما هذه الضجة ؟ فعرف، فاستقبله الشيخ بكفه يبسطها ويهزها، فصرع لحينه، ثم قال للجن افغ (28) ! باللسان الغربي، ومعناه اخرج. فقال له لا أخرج، فعاد الشيخ لمقاله وأجابه الجني بمثل ذلك. ففتح فم الرجل ثم تفل فيه وأمسك يده على فمه طويلا وهو يسمع منه بصوت ضعيف كصوت المخنوق اخرج، اخرج. وهو يقول لا، إلى أن خرج الدم على فم الرجل، فخلى يده، فسري عن الرجل وأفاق واستوى جالسا يقول الحمد لله رب العالمين. وأقبل على المرأة فأراها كفه وحركها فصرعت، ثم قال له افغ ! قال نعم. وما راجعه لما اتعظ بغيره. والسعيد من وعظ بغيره. قال وفي يوم وصولنا إليه بشرنا بزوار وافدين عليه، ثم عرف بأنهم أهل قرية كذا،

---

(٢١) سقط من ب.

(25) شيخ أبي يعزى. توفي بأزمور عام 541 هـ. وضريحه يعرف الى اليوم هنالك بضريح مولاي بوعزة. التشوف، ص 187

(26) يقصد أن الواو في اللسان الغربي للنسبة، بمعنى ابن عاصم.

(27) يِمُوتُ امْغارْ مات الشيخ، ويلاحظ أن أمغار التي تعني لغة الكبير، كانت تستعمل للشيخ مطلقا، ثم اختص بها في الأزمنة الأخرين المتولون لشؤون القبائل من لدن الحكام.

(28) بهمزة وصل وفاء مشددة تحتها كسر وغين ساكنة.

فيهم امرأة صالحة أرادت زيارتي، فلما عزمت صحبها جملة أهل القرية وهم زهاء سبعين نسمة، فما زلنا في اليوم الذي أخبر به الى قريب من عصره، فجاء أهل قرية كبيرة قضها بقضيضها، فتلقاهم، فلما بلغوا إليه جعلوا يقبلون يده وركبته، وعانقهم هو واحدا واحدا، ويقبل رؤوسهم. قال فلما دنا من أحدهم ليعانقه أدني رأسه منه فاشتمه وقال الزفان أيا (29) باللسان الغربي. فقال له نعم ! ثم قال لأهل القرية " أكذلك ؟ قالوا نعم ! قال الزفان أنا تائب لله تعالى. قال له بعد أن تُبدي ذلك وتشهد الجمع كله، بعد أن تعرفه بتوبتك من زفنك. وأمر بنزع كسائه عنه وتجريده منه، وذكر الشيخ أنه يشتعل عليه نارا، وأمر بكسائه أن يباع عليه ويدفع ثمنه للمساكين بعد مشاورة الشيخ الفقيه [أبي الصبر في ذلك، وإشارته عليه بذلك. قال الحاج فقال له الفقيه] (٣٢) أبو الصبر الحاج يقدرها، فإنه تاجر عارف. قال الحاج فقدرتها بسبعة عشر أو ثمانية عشر درهما، فدفع الشيخ أبو يعزى ثمنها، ودفعه للمساكين، فقال له الفقيه أبو الصبر يا سيدي، كيف بقاؤه دون كسائه ؟ فصرفها عليه.

قال المؤلف رضي الله عنه وكان من جملة من رحل اليه من أهل بلدنا الحاج الصالح أبو عبد الله بن الغربي (٣٣)، قال قدمت عليه زائرا وكان من شأني في سفر الحج وفي سفري للسياحة حمل سفيط دقيق كالإبرة للخياطة والحلق والمقاط آكل بها الحلال وأستغني عن السؤال، يخف محملها ويحمد (٣٤) عملها، في سفيط يسع الجيب، ويمنع العيب، فانتهيت إلى مسجده رضي الله عنه وهو في داره أو حيث ما شاء الله، فعمدت الى طاق أو كوة في المسجد فأودعتها. ثم جاء رضي الله عنه فصلّى الفريضة في جماعة، ثم قام الى الطاق أو الكوة فأخذ السفيط وفتحه، فمت تخوفا من أن يعيب علي ذلك أو يفضحني في شيء من أمري لما كنت أعتقده من مكاشفته، فأقبل على من عنده من المريدين والسالكين وقال لهم ما معناه أخطأتم الطريق ووقع عليه غيركم، هذه سبيل سالكي سبيل الآخرة وضع أعبائهم عن المخلوقين،

---

(٣٢) سقط من ب.

(٣٣) ب : العربي.

(٣٤) ا : يحمل.

(29) الزفان يستعمل في لسان بعض أهل اللسان الغربي بمعناه العربي الفصيح وهو الرقّاص، ولا سيما المطرب المتجول. وكلمة «أيا» في مثل هذه العبارة تعني أهذا هو ؟

وغناهم برب العالمين، وأنتم تحملون الناس كلكم وتكونون عيالا عليهم كلكم [قال] (٣٥) ثم حملني إلى داره، وكنت اشتهيت العسل في الطريق، وكنت مولعا به، فأمر الصغرى من أزواجه بأن تقرب إلي رغائف البر بالعسل، وقال لي كل ما [كنت] (٣٦) اشتهيت. فسألته الأكل فلم يفعل، وجعل يقول لها الحاج أيا (30) ! ومعناه باللسان الغربي هذا هو الحاج فكأنه (٣٧) يعيب على من يصل إليه من الحجاج وغيرهم شهرتهم لعملهم، وتسميتهم أنفسهم به، وتحدثهم مع أكثر الناس به وبما (٣٨) كان منهم فيه. قال الحاج وما رآني قبلها ولا عرفته بحجي، ثم أتته بكسرة شعير ولبن فلما وضعتها بين يديه [ونادى] (٣٩) يا بابا ! يا بابا (31) ومعناه باللسان الغربي يا مولاي أو سيدي، تعطي هذا الغلام الأسود الخبز واللبن ! فما زال يكرر ذلك ويتضرع ويتملق. قال هذا ما شاهدت.

قال المؤلف رضي الله عنه حدثنا الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن سليمان البلنسي أن الشيخ ولي الله أبا يعزى إنما وصل إلى سيدنا الخليفة أبي محمد (32) رضي الله عنه وهو على ظهر الطريق بمحلته، وكان وُشِي إليه به للجموع التي تقصده، فوجه عنه، فوصله بالطريق، فتوقف في أمره ثم قال لبعض خاصته قولوا له يعرفنا بشيء من هذه الغيوب التي تؤثر عنه من المكاشفات. فمضوا إليه وقالوا له ذلك، فقال حماري يأكله السبع الليلة. فوجه الخليفة عن الحمار وجعله في مربط خيله، وبات العبيد هنالك. فلما أصبح تفقد الحمار فوجد (٤٠) العبيد هنالك قد تفرقوا فارين، ووجد

---

(٣٥) سقط من ب.
(٣٦) ا كأنه.
(٣٧) ب : وربما.
(٣٨) سقط من ب.
(٣٩) ب فوجدوا.
(٤٠) ب فوجدوا.

(30) معناه في جملة غير استفهامية هذا هو الحاج وإلا فلا.

(31) جعل هذه الكلمة هنا مرادفة لكلمتي «ددًا» و«مازيغ» المذكورتين أعلاه، ولا نعلم كيف تطورت معاني هذه الكلمات في لهجات اللسان الغربي.

(32) الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكَومي، ولد بتاكرا بندرومة في قبيلة كَومية الزناتية، كان يطلب العلم عندما لقي المهدي سنة 541 هـ، فاتبعه وتألق في دعوته وفي القتال لنصرته، ولما توفي المهدي ابن تومرت، عزز ترشيحه لولاية أمر الموحدين أبو حفص إينتي، وقاد عبد المومن المصامدة حتى ملك المغرب كله عام 540 هـ. فكان أول خليفة في دولة الموحدين الى أن توفي عام 558 هـ، وخلفه ابنه أبو يعقوب.

الحمار عقيدا (٤١) والسبع رابض هنالك، وعرف بذلك الخليفة فأمر أن يعرف به الشيخ، فعرف فقال أقف عليه. فسار حتى وقف عليه والسبع رابض هنالك، فتقدم إليه فضربه ضربة بعصا أو بيده فخر ميتا فنقل ذلك للخليفة فقال لجلسائه اعتبروا بهذه القصة وإن كانت عجبا فقد ضربها لكم مثلا وجعلها أدبا فكأنه يقول أنا رب الحمار، قتله لي الأسد فسلطت عليه فقتلته، وأنا عبد وربي الله وإن قتلتموني غضب لي سيدي ففعل ذلك أو أشد منه لمن قتلني. وهذا منه رضي الله عنه اعتبار عجيب، وخاطر سهمي الفراسة مصيب، ولا عنه معدل للبيب، ولا شك فيه لأريب.

قال المؤلف رضي الله عنه وحدثنا غيره أنه رضي الله عنه لما كان الخليفة أُتِي ببعض من يأخذه نوع من الجنون الذي يسمى باللسان الغربي أمالوا (33) فجاء ورمحان في يده وهو يهر هرير السباع والناس يفرون أمامه، فنظر اليه وألمع اليه بكفه وقال القِ الرماح فألقاها ثم قال اجلس فجلس، ثم قال اضطجع فاضطجع فلما رأي إعجاب الحاضرين بذلك قال باللسان الغربي (وُرِيلي (34) العالم، وُرِيلِّي الفاضل، ثم رقاه وجر يده عليه (٤٢) فشفي.

قال المؤلف رضي الله عنه وحدثني السيد الماجد [السري] (٤٣) الفاضل أبو محمد عبد الواحد (35) ابن سيدنا أمير المؤمنين أبي يعقوب عن

---

(٤١) ب عقيرا (٤٣) سقط من ب

(٤٢) ب بجريدة

(33) تعني الظل أيضا فيكون هذا المس هو ما يعبر عنه في المغرب بـ «القرينة»

(34) وريلّي لا يوجد قالها ليتبرأ مما يعتقد فيه من العلم والفضل.

(35) من أبناء الخليفة عبد المومن الموحدي، وعدد الذكور منهم حسبما عند المراكشي في المعجب (ص. 356) ثمانية عشر وقد قضى أبو محمد هذا عمره المديد بعيدا عن حلبة السياسة ميالا الى الزهد حتى أكرهه على تولي الخلافة بعض أشياخ الموحدين بمراكش سنة 620 هـ. وبعد أشهر انقلبوا عليه بإغراء من العادل، ابن عمه الذي قام بالأندلس، فدخلوا القصر على عبد الواحد بمراكش فخلعوه ويسمى بالمخلوع لأن ذلك لم يسبق في دولة بني عبد المؤمن، ولم يكتف المتآمرون عليه من الأشياخ بخلعه بل أقدموا على قتله خنقا وقد افترضنا في مقدمة تحقيق هذا الكتاب أن أبا محمد هذا وأخاه أبا إبراهيم ابني أبي يعقوب كانت لهما علاقة صداقة بأبي العباس العزفي، وأنهما المشيران عليه بتأليف أخبار أبي يعزى، ولا يستبعد أن رجال التصوف بمراكش كان لهم مريدون من أحفاد عبد المؤمن.

أخيه السيد السني الماجد الفاضل الزاهد أبي عبد الله قال حدثني الشيخ الصالح أبو الربيع بن تازكوارت (36) (٤٤) القبائلي قال لما أتى سيدنا أمير المومنين الخليفة بالشيخ الصالح أبي يعزى، وكان عنده شبه المحبوس (37)، رأى شدة إشفاقي عليه، فقال لي لا بأس علي ان شاء الله، حبسني القوم وفي بقية، وسيخلون (٤٥) سبيلي، والقوم سيحبسونك في آخر عمرك. فمات الرجل بحضرة مراكش كلاها الله في دويرة محبوسا فيها وهو أعمى مقعد وسنه نحو من مائة. وهذا عجب.

وحدثني السيد الماجد الفاضل السري الحسن المشاركة في علم الباطن والظاهر أبو ابراهيم أخوهما، أعز الله الإسلام بنصرهم وطيب في الملأ الأعلى سامي ذكرهم، عن زوج الشيخ الصالح أبي يعزى أم العز، وما رأيت أعبد منها، كانت لا تنام الليل صلاة وبكاء، قالت أخذ الشيخ بيدي وقال لي: سيرى معي ! فقلت حتى آخذ ركتي، تعني القصبة أو العود التي يلقي عليها الكتان أو الصوف فيغزل، قالت فتركني وطار في الهواء وأنا أنظر اليه حتى غاب عني. فلما رجع الي، لامني وقال من يخرج إلى الله تعالى يتخلف أو يتأخر لركة أو غيرها ! ثم قال لي السيدان الفاضلان أبو محمد وأبو ابراهيم وقد حدثنا الشيخ الصالح المريد البياني بأنه شاهده يسير في الهواء، وأنه سار معه، وسئل كيف كان يجد الهواء تحت قدميه [فقال] (٤٦) كالموطيء الصليب الثابت الذي يتهيأ للناس المشي عليه.

قال المؤلف رضي الله عنه وكان من جملة من رحل إليه من مدينة فاس جبرها الله، الشيخ الفقيه الحسيب أبو عمرو عثمان بن عتيق

---

(٤٤) ب تاركيوارت. ا تاكيوارت.

(٤٥) ب ويخلون.

(٤٦) ساقط من ب.

(36) ذكره صاحب الإعلام (1 229) واسمه فيه، نقلا عن نسخة من دعامة اليقين ابن تازكيرت. وتازكيرت أو تَازْكِيوارْتْ الأريخة، فهو ابن الأريخة، والكنية معلومة لغيره كما لأبي عامر القرطبي المذكور في *الذيل والتكملة* (6 177).

(37) قال التميمي في *المستفاد* متحدثا عن أبي يعزى «وقد اجتمعت به أيضا بمدينة مراكش، كان بعث فيه فنزل في صومعة المسجد الجامع، وكنت اختلف اليه وأزوره»، وحبس أبو يعزى كان في أوائل دولة الموحدين وقبل بناء منار جامع الكتبيين لأن إقامته كانت في منار المسجد المرابطي، وإذا كان الأمر كذلك فالتميمي الذي زاره كان حدثا شابا إذ توفي سنة 603 أو أوائل سنة 604 هـ.

الوهراني من بني جابر صاحبنا رحمه الله. سمعته يقول غير مرة كنت أقرأ على الشيخ الفقيه العالم الزاهد الفاضل أبي عمرو عثمان الخراز مع طالب فاضل حسيب من بني خليل من أهل لبلة، فعرضت بطالة [إما في عيد] (٤٧) أو نحو ذلك [وكان عادة الناس بفاس ومكناسة متى كانت بطالة لعيد أو غيره] (٤٨) أن يرحلوا إليه بالجم الغفير والعدد الكثير من نحو أربع مائة أو نحو ذلك فيرجع كل يحدث بعجائب مما (٤٩) شاهده، قال الفقيه أبو عمرو فوصلنا إليه، وسلمنا عليه، وسألنا عن فقهاء فاس كيف سيدي أبو الربيع(38) ؟ كيف سيدي أبو خزر (39) ؟ كيف سيدي أبو عمرو (40) ؟ كيف فلان ؟ كيف فلان ؟ ثم يقول مصابيح الدين، نور الإسلام، هداتنا، وبهم القدوة، عرفونا الطريق ألهمونا الخير، لولا الشهرة كان هذا الغلام، يعني نفسه، يهبط الى فاس يخدمهم يغسل ويكنس ويومي الزبل ونحو هذا

قال الفقيه المذكور شهدت أمة مجنونة جاء بها مولاها للمسجد وليس الشيخ فيه فجاء الشيخ فوقف إليه سيدها وسلم عليه وقال له شكايتها، وبيده عصاه (٥٠)، فقال للأمة ازر (41) يعني انظر ! ثم بسط كفه وأصابعه وأمسك عصاه بالإبهام والسبابة، فصرعت لما نظرت إليه من حينها، ثم ناحت، فصاح بها أتنوحين في بيت الله، ولولي ! ولولي ! فولولت. ثم دعا لها، فبرئت.

قال لي الفقيه أبو عمرو وكنت أنا ورفيقي غائبين عن المسجد في بعض تلك الأيام، ثم جئنا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ فيه ومعه خلق كثير، فدخلنا المسجد ، فإذا الناس بين متعجب خاشع أو أباك أو داع أو ذاكر لله تعالى، فقلنا لهم ما لكم ؟ فأشاوا الى صبي، فقالوا هذا الصبي جيء به

---

(٤٧) ب لعيد.

(٤٨) سقط من ب.

(٤٩) ب : ما.

(٥٠) ب عصاة.

(38) شيخ المواق. من كبار فضلاء فاس وفقهائها مات بها عام 579 هـ. *التشوف*، ص 280.

(39) يخلف الأوربي، من صلحاء فاس، راجع *التشوف*، ص 177 وفي جنوة *الإقتباس* أن وفاته عام 572 هـ

(40) عثمان بن عبد الله السلالجي، الأصولي الشهير بفاس، توفي عام 564 هـ راجع *التشوف*، ص. 198، *وروض القرطاس*، ص 266، وجنوة *الإقتباس*، ص 458.

(41) انظر أو انظري.

محمولا مقعدا من وركيه فدعا له الشيخ ثم تفل في يده وجرها على وركيه ثم أخذ بيده فاستوى قائما، فنظرنا الى الصبي يمشي متثاقلا بطيئا كما يمشي الصبي حين يأخذ رجليه بعد الحبو.

قال الفقيه أبو عمرو وكنت قلت لرفيقي الطالب ابن خليل أوقال لي هذا الطعام خشن، وقد أجمناه، وانما كان قوت تلك الأرض من الشعير خبزا وعصائد ونحو ذلك، ثم قلنا أو أحدنا إنما كان يصلح بنا الآن رغائف بر بعسل. فلما حان سفرنا عرفناه. قال أبو عمرو فقال لي أقيموا عندي ما شفيت نفسي منكم، أو شبه هذا، وكانت الإقامة مقدار أربعة أيام، فقلنا له: نحن في دولة (42) مع إخوان لنا طلبة، فإن تأخرنا سبقونا ولن (٥١) ندركهم. قال فأما وقد عزمتم فنعم، لكن بعد أن تأكلوا ما اشتهيتم أو ما ذكرتم، فأتانا برغائف قمح بسمن وعسل فأكلنا ورحلنا.

قال المؤلف رضي الله عنه وحدثني ابنه الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله (43) بن الشيخ الصالح أبي يعزى يلنور المذكور أن سبب اجتماعه مع الخليفة أبي محمد رحمهما الله أن قوما وشوا عنده بتلك المكاشفات ومواصلة الأخبار عن الغيوب، فبقي ذلك في نفسه، فلما نزل بظاهر سلا بمحلته قال لأخيه لأبيه (٥٢) الشيخ الموقر أبي محمد وسنار (44) ما هذا الذي يذكر به أخوك (45) من مشاركته لله تعالى في علم الغيب ؟

---

(٥١) ب لم.

(٥٢) ب لأبي.

(42) دولة الطلبة في هذا المعنى الدورة في الدرس على أستاذ يلقن مادة في قت معلوم، وقد تعني الدولة عند الطلبة الدورة والتطواف على البلاد لجمع ما يُستعان به على الطلب. والمعنى الأول هو المقصود هنا

(43) ليس هذا هو الذي ورث زهد أبي يعزى من أولاده، بل هو أبو علي المذكور في التشوف، ص 231

(44) من كبار شيوخ الموحدين، عد من أهل الدار في ترتيبهم زمن المهدي، وقد اختص بخدمة الإمام ذكره البيذق عدة مرات. وذكره المراكشي في *المعجب* في باب جامع سير المصامدة فقال عنه إنه كان دباغا أسود من أهل أغمات صحب المهدي عند مروره بهذه المدينة فاختصه لخدمته لما رأى من شدته في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع وقد توفي في صدر دولة أبي يعقوب بعد أن علت سنه

(45) لم نقف على أخبار تخص نسب وسنار لنجزم بها في شأن أخيه أبي يعزى المختلف في قبيله الأصلي

فقال: يا أمير المؤمنين أنت أقرب اليه مني وأقدر عليه. قال عبد الله ابنه، فأمره أن يرسل عنه، فجعلني الرسول إليه. قال وبين ظاهر محلته ومنزلنا نحو من عشرين ميلا. قال فركبت فرسي وسرت إليه، فما سرت أكثر من ثلاثة أميال حتى لقيته، فقال لي باللسان الغربي أرسلك أمير المؤمنين ؟ قلت نعم، قال إنه يريد أن يقتلني، ولكن سر بنا إليه. قال فوصل إليه وهو جالس في خبائه مع مشايخ الأمر كالشيخ الأسمى أبي حفص والشيخ أبي علي يونس وأبي محمد مكراز وأبي محمد عبد الجليل والحاج الكَومي الكفيف والشيخ أبي سعيد يخلف والشيخ أبي يحيى بن الجبر والشيخ أبي محمد ومازير والفقيه قاضي الجماعة الأفضل أبي يوسف (46). فلما دخل سلم عليهم وقال يا أمير المؤمنين ! في نفسك مني شيء مما قال لك فلان وفلان في يوم كذا في ساعة كذا ؟ فها أنا أخبرك أن تحت ذلك البساط الذي أنت عليه خريطة بها ألف دينار عيونا قطعتها كلها وقلت في نفسك أنظر هل ترجع إلي فيما يرتفع الى بيت المال أم لا. فقال الخليفة إن الأمر لكما ذكرت. ثم قال الشيخ يا أمير المومنين ! قلت الآن في نفسك أكتب له كتابا بكل ما يريد. فأرح الكاتب، ووفر الكاغد، ثم قال حاجتي أن تمشي معي إلى تلك الكدية. فقال نعم. وقام هو وأصحابه فلما انتبهوا إلى تلك الكدية، وبها زرع، فقال أحب أن تسقي لي هذا الزرع من ذلك الوادي. فقال له من يطيق ذلك ؟ قال فحرك شفتيه، فأرسل الله السماء بمطر وابل شربت به تلك الكدية وجرت به الأودية وما وصلوا لظاهر المحلة إلا وقد ابتلت ثيابهم. وذكر شأن الحمار، وذكر فيه أنها كانت أتانا وأن بنيه قالوا له فقدناها وكنا محتاجين إليها، فقال لا أبرح مكاني حتى تأتيكم أن شاء الله حمارة خير منها وثمنها، فجاءه رجل بحمارة خير منها فأهداها إليه ودفع له معها عشرة دنانير. وزاد ابنه عبد الله أن الشيخ أبا يعزى عرض على الخليفة الوصول الى منزله بحكم التشريف والقيام بالواجب من التضييف، قال فسار هو وأولئك الأشياخ ومن حضر معهم فانتبهوا إليه فلم يجدوه في الدار، فطلبوه، فوجدوه عند مجبحة

---

(46) المعروفون من هؤلاء المذكورين الشيخ أبو حفص عمر إينتي وأبو علي يونس بن تادرارت التينملي ومكراز المذكور عند البيذق في بيعة تينمل ويخلف بن الحسين، وكلهم من أشياخ دعوة ابن تومرت.

أما أبو يوسف فهو حجاج بن تومرت الهواري، قاضي الجماعة وخطيبها بمراكش، توفي بالطاعون سنة 572 هـ. الإعلام (3 - 116)

له، فذكر [ولده] (٥٣) أنه من أكبر ما شاهده من المجابح فإذا به نائم مع طائفة من [الصوفية] (٥٤) الأسود، رأسه على أسد ورجلاه (٥٥) على آخر، وهو عريان في سراويله، وما دار به من الأسود يلحسونه. قال فلما بصر بهم أشار الى الأسود يقول لهم اذهبوا لئلا تروعوا الزوار. قال فتفرقوا عنه وذهبوا. وذكر أنه بات عنده تلك الليلة وليلة أخرى في ستر من الناس.

وحدثني عنه ابنه عبد الله أيضا أن شجرة من التين كانت خلف دارهم، قال وكانت لا ينقطع فيها التين في السنة كلها، وشاع ذلك وذاع، فتحدث به بقسنطينة الهواء(47)، فسمعه رجل من أعيان أهلها وهو خلفهم بن علا الناس فاستبعده وقال لا أنتهي حتى أشاهد ذلك، فصار إليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له جئت في أمر الشجرة التي استبعدت أمرها ؟ فدونكها ! فانها خلف البيت، فكل منها ما شئت. قال فذهب اليها، فمد يده الى غصن منها ليقطف منه، فإذا عليه حية كبيرة، ففزع منها، وكان الشيخ في البيت، فكلمه من داخل البيت وقال للحية تروعين (٥٦) أضيافي ؟ (٥٧) إن لم تتكعكي (٥٨) وتلقي بنفسك في الأرض حتى أسمع دويّ سقوطك، وإلا هلكت! فألقت لنا بنفسها إلى الأرض كأنها صخرة، ثم ذهبت.

قال المؤلف رضي الله عنه وحدثني ابنه بحديث الشجرة بعد ذلك وقال إنه كان مع خلفهم بن علا الناس أخوه الحاج ميمون قال وكان في صحبتهما بعد وصولهما اليه الشيخان الصالحان أبو عبد الله الهواري (48) وأبو مدين (49)، قال وشاهدا ذلك وأكلا من [تلك] (٥٩) الشجرة مع من شهد ذلك وشاهد أمر الحية.

وحدثني أيضا عنه ابنه قال نزل في بعض الأيام هو ومن كان عنده من أصحابه إلى الوادي الذي يلي داره ليغسلوا ثيابهم، ودخل الشيخ في ظل

---

(٥٣) سقط من ب.
(٥٤) سقط من ب.
(٥٥) ب ورجله.
(٥٦) ا : تروع.
(٥٧) ب الأضياف.
(٥٨) ا تتكمكعي.
(٥٩) ساقط من ب.
(47) قسنطينة الشهيرة آنذاك بفواكهها وثمارها وهوائها المعتدل.
(48) راجع التشوف، ص 270، وفيه أن وفاته عام 581 هـ بمراكش.
(49) شعيب بن حسين الأنصاري، الشيخ الشهير، دفين العبّاد، توفي عام 594 هـ. راجع التشوف، ص 319، وفي هامشه بيان مصادر ترجمته.

شجرة من الضرو فنام، ونزل ثعبان كبير له عرف كعرف المُهر أو نحو ذلك، انحدر إلى ذلك الوادي فشرب منه ثم رجع الى موضع الشيخ أبي يعزى، فخافه القوم عليه، فلما بلغ إليه لحس رجليه ودخل معه في ثيابه حتى أخرج رأسه من جيبه، فقال لأصحابه لا تخافوا ! إنما هو رسول [جاء] (٦٠) يخبرني أن أربعين فارسا يصلون إلينا الليلة. وهو القائد أبو عبد الله بن صناديد(50) في بقية العدة من أصحابه ، ثم أمر أصحابه بالنظر في قراهم واعداد الطعام لهم، فوافى القائد المذكور وأصحابه فأقبل عليهم قبولا حسنا. وتلقاهم بما جرت به عادته للوافدين عليه إلا رجلا من أصحابه يعرف بابن الرميح، أعرض عنه، ثم استخلاه بعد ذلك وقال له يحل لك أن يكون عليك الطهور من زوجتك من حين خرجت من بلدك ؟ قم إلى الوادي فتطهر وأنا أمسك لك فرسك ! قال فلما انتهى الى الوادي وجد عليه أسدا فخاف منه، ورجع الى الشيخ فأعلمه، فذهب الى الوادي وطرده وقال له لا تروع أضيافي ! ما أظنك إلا جائعا، الله يرزقك رزقا لا تؤذي به أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وحدثني ابنه أبو محمد أن أباه الشيخ الصالح بينا هو ذات يوم جالس مع أصحابه إذ جاءت لبؤة فربضت بين يديه وجعلت تبصبص وتتمرغ بين يديه، فقال ما لهذه اللبؤة ؟ فلم يعرف الحاضرون أمرها. فالتفت الى أطبائها فإذا لبنها يجري، فقال ان أشبالها أخذن منها، فابحثوا عن ذلك، [فبحثوا] (٦١) فإذا شبلان عند بعض جيرانه، فدعا بهما، فأُلفي أحدهما ميتا فوضعا بين يديه، فإذا أحدهما ميت، فقامت اللبؤة إليهما، فشمتهما ولحستهما ثم تركت الميت وأخذت الحي بفمها كما تأخذ الهرة ابنها ثم ذهبت.

وحدثني عنه ابنه أنه أيضا رآه وغيره ذات يوم في غيضة من تلك الغيضات، وهو بها في سراويله، متجردا من ثيابه، قد اجتمع اليه أنواع البهائم من السباع والوحوش والحشرات والهوام، وكل يشم (٦٢) ويلحس ما أدركه منه.

---

(٦٠) ساقط من ب.

(٦١) ساقط من ب.

(٦٢) ب : يشمه.

(50) من أشهر قواد الموحدين، قدمه عبد المومن على الأندلسيين، برسم غزو سنة 556 وكان له دور بطولي في غزوة الأرك. القرطاس، ص 224- 227.

وحدثني عنه ابنه أيضا أن أسدا وثب على فريسة (٦٣) من ماشية بعض جيرانه، فانكب في مطمر خال من الزرع، فأقبل الجيران ليقتلوه برماحهم، فأقبل اليه الشيخ فأخرهم عنه وقال له تتوب ؟ فهمهم، ثم أكد عليه وشرط ألا يؤذي مسلما بعدها، فهمهم، ثم قال لهم إنه قد تاب، ثم قال مد يدك ! فمدها، فأخرجه من المَطمر.

وحدثني ابنه أيضا قال كان القائد الأجل الجياني (51) قد سجن رجلا خضارا من أهل الصلاح يسمى بدوناس، فأخذه عند سجنه وجع ودعا إليه ولعلاجه الأطباء، وعالجوه بكل ما يستطيعون، فبلغ ذلك الشيخَ الصالح أبا يعزى، فأرسل إليه يقول له ان هذا الوجع لن تبرأ منه حتى تطلق دوناس الخضار. فخلّى سبيله فبرىء من حينه.

وحدثني عنه ابنه [أيضا] (٦٤) قال وصل الى أبي زوار من أعيان طلبة القبائل وصالحيهم، منهم عبد العزيز إنسيلي (52) من الكست (53) وأبو محمد عبد الحق السرغيني (54) من ماست (55) (٦٥) وأبو يحيى المجدولي (56) وأبو محمد بن عبد الله بن يزيد الأدفر كالي من أدفركال (57) وأبو عبد

---

(٦٣) ا فرسه.
(٦٤) سقط من ب.
(٦٥) ب ماسة.
(51) عبد الله بن خيار، المشرف على فاس للمرابطين ثم للموحدين، راجع *أخبار المهدي* (النص العربي من تحقيق ليفي - بروفنصال) ص. 146 - 148
(52) الكُسْتْ، شعب بأعلى وادي ماستْ (ماسة) كان به حصن وعمارة دار عليها الصراع بين المرابطين والموحدين القائمين عليهم. ومعنى لكست، ما يعرف في المغرب بالمعدر.
(53) نسبة الى قبيلة إين سولينت المذكورة في عداد قبائل الموحدين بسوس.
(54) السرغيني نسبة الى إسرغنّ أي المباركين أو الشرفاء، قبيل كان ببلاد جزولة، وقد يسمون أرغْنْ أو هرغة.
(55) كان بها رباط مقصود للصالحين بوادي سوس، وهي تُعرب ماسة وينسب إليها الوادي المعروف البكري، ص 161.
(56) نسبة إلى أمكْدُولْ، اسم على مواقع متعددة في جنوبي المغرب منها الذي بساحل حاحة عند الصويرة الحالية، ومن أمكدول حرف اسمها الأجنبي موكاضور.
(57) نسبة إلى أدفركال، البلد الذي كان به رباط ماسة.

الله الركراكي (58) من ركَراكَة من سكان أرماس (59)، فلم يلفوه في منزله، فسألوا عنه، فقال الشيخ ابنه فسألتُ عنه أمي، فقالت هو في المجبحة، فذهبت معهم إليها، فإذا به بين الأسود على مثل الحال المتقدمة، وفيها ما يلحسه، وفيها ما يشمه، فسلم عليه أولئك الأشياخ، وكان في يد أحدهم وهو أبو علي يونس قصبة، فأقبل عليه وقال باللسان الغربي لما اقتلعت هذه القصبة من موضعها وهي من القصب الذي أنبته الله على يونس النبي صلوات الله على نبينا وعليه وسلامه حيث ألقاه الحوت من بطنه ؟ ثم أخذ عليه العهد أن يردها [الى موضعها] (٦٦) إذا رجع الى بلده ماست (٦٧) فتعود كما كانت، ثم أقبل على تلك الأسود يكلمها بحضرة أولئك الأشياخ يقول لهم: قولو لإيْزَم سكُّانْ (60) لا يقربكم ولا يدخل بينكم، فإنه يفريكم ولا يحضر مأكلكم، فإنه كان رجلا فاجرا اقتطع بيمينه حق امرىء مسلم فمسخه الله اسدا أسود. فما زال دأبه معهم [ذلك] (٦٨) إلى أن مات جوعا. قال وهذا الأسد الذي كان يسمى بتلك البلاد بوتبر نوست (61).

وحدثني ابنه أيضا أنه قال كان عندنا موضع ننشر [فيه] (٦٩) التين ونيبسه فأضرتنا فيه القنافيذ تأكله وتتمرغ فيه فيلصق بشوكها فتنقله

---

(٦٦) سقط من ب.
(٦٧) ب ماسة.
(٦٨) سقط من ب.
(٦٩) سقط من ب.
(58) راجع التشوف، ص 86.
(59) من قرى ركَراكَة، كانت في موقع يوجد اليوم بين أرض الشياظمة وأرض أولاد أبي السباع، وكان بها أبو محمد الجزولي فقيه المصامدة.
(60) إزْمَ أسكّانْ الأسد الأسْود. وقد تحدث الحسن الوزان في كتابه *وصف إفريقيا* (ج 1 ص 162 من الترجمة العربية) عن بلدة تاغيَّة حيث ضريح أبي يعزى وعن كون الغابات المحيطة بها عرينا لأسود كاشرة، وذكر حديث الناس عن كرامات أبي يعزى مع الأسود، وقال عن نفسه «وقد كان أبي يأخذني معه (من فاس) لزيارة هذا الضريح، ولما بلغت مبلغ الرجال ذهبت إليه مرات للوفاء بنذور نذرتها عندما تعرضت لخطر الموت بسبب الأسود» ويعلم من *وصف إفريقيا* أن من بين الحيوانات المفترسة التي كانت تعيش في مناطق مختلفة من المغرب الضباع والأسود والفهود.
(61) ذو البرنوسة.

لموضعها، فشكونا ذلك الى الشيخ أبينا فقال إوْيانْ تازَرْتْ دْا الزّبيبْ إينَاكَتّنْ (62) ؟ تفسيره حملت لكم القنافيذ التين والزبيب. قلنا نعم فقال ما يعودون لكم أكثر، وغدا إن شاء الله نصل إليهم ونعاهدهم أن لا يعودوا أبدا. فصبحنا إليهم فوجدناهم في ذلك المكان ولم يبرح منهم قنفذ، فجر يده عليهم وقال احملوا اليسير إلى بيتكم ! فكان ذلك آخر ما رأيناهم.

وحدثني ابنه أيضا أن بعض بني جيرانه وجد فرخ ذئب في مغارة فرباه، فلما صار جروا رجع يأكل جديانه، ثم توحش مع الذئاب، فزار أبي الرجلان الصالحان القاسم يلي الأغماتي(63) المدفون في فضالة (64) وعبد العظيم الذي من تيط (٧٠) فطر (65) من بلد آزمور، فسألوني عنه، فسألت أمي، فقالت ذهب إلى تلك الكدية، لكدية كانت فوق مجشرنا كان الشارح يشرح [فيه] (٧١). فذهبت معهما إليه، إذا حوله أنواع من الحيوان وحوش وسباع وغيرهما، وإذا ذئب بعيد منهم وحده لم يقرب إليه. فسلم عليه هذان الرجلان، فرحب بهما ثم قال لتلك الوحوش والذئاب التي فيها ألم أقل لكم لا يكون ذلك الذئب معكم ولا يقرب جماعتكم فإنه كفر نعمة من رباه وآذاه ؟ قال فما زال كذلك حتى مات جوعا.

وحدثني عنه ابنه قال لأمه ميمونة ولخالته أم العز المقدمة الذكر، زوجه بعد ميمونة إنما تموتان بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، فحجتا وماتتا بالمدينة رحمهما الله ونفع (٧٢) بهما.

---

(٧٠) ب تيطر فطر والصحيح تيطن فطر أوتيط نفطر.

(٧١) سقط من ب.

(٧٢) ب ونفعنا

(62) الأفصح تقديم الفعل إوْيَانْ إيناكّتّنْ تازأرتْ الزّبيبْ ذهبت القنافيذ بالتين والزبيب.

(63) لعله القاسم الأيلاني، الزاهد المذكور في التشوف.

(64) ذكرها البكري (المغرب، ص 87) والإدريسي (نزهة، ص 46) بين سلا وأنفا وربما كانت مرسى في محل فضالة الحالية (المحمدية) أو قريبا منه.

(65) لعله والد أبي عبد الله بن عبد العظيم الذي يذكره صاحب *بهجة الناظرين* مؤلفا لأخبار كرامات شرفاء بني أمغار، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ص 105، وبخصوص رباط تيط نفيطر، راجع هامشا على كتاب *التشوف*.

وحدثنا عنه غير واحد، منهم الشيخ الصالح أبو عبد الله بن فائز (٧٣) الفاسي ويغلب [على] (٧٤) ظني أني سمعت الفقيه الفاضل أبا الصبر يذكر ذلك أنه [كان] (٧٥) خدم أربعين وليا من أولياء الله.

وحدثنا عنه أنه عبد الله في بدأة حاله في الجبال (66) والبراري عشرين سنة، وعبد الله في سواحل البحر مثلها.

قال المؤلف رضي الله عنه حدثنا الفقيه الفاضل صاحبنا أبو علي الخطيب قال كثيرا ما كنت أسمع الشيخ الفقيه الصالح أبا محمد عبد الجليل بن موسى (67) يحكي عن الفقيه الفاضل أبي الصبر، ثم سمعت ذلك من الفقيه أبي الصبر، قال كان من جيران الشيخ الصالح الفاضل أبي يعزى من ينكر الكرامات للصالحين ويكذب بآياتهم [قال] (٧٦)، فبينما الشيخ الصالح ذات يوم جالسا مع أصحابه وزواره في المسجد إذ دخل عليه ديك من باب المسجد، فأقبل على الديك ما نيلا اينكركس (68) (٧٧)، يعني المكذبين باللسان الغربي. قال فذهب الى ذلك [الرجل حتى] (٧٨) نقره بمنقاره، وقوقى مثل ما يفعل إذا تقاتل مع الديكة قيق، قيق.

وسمعت الفقيه الخطيب أيضا يقول سمعت الشيخ الصالح الحاج المكتب أبا عبد الله الخياط، وكان من أتم الرجال خلقا وأجملهم وأنورهم وجها قال عزمت على التوجه الى الحج ورافقني من [أهل] (٧٩) إشبيلية [حرسها] (69) (٨٠) الله، بعض إخواني من شبانها. وكان رأينا في السير

---

(٧٣) ب فائز.

(٧٤) سقط من ا

(٧٥) سقط من ب.

(٧٦) سقط من ا

(٧٧) ب ايمكركسن.

(٧٨) ب الى ذلك ونقره.

(٧٩) سقط من من ب.

(٨٠) ب أعادها

(66) في المعزى (ص 5 من مخطوط خ.ع.) أن أبا يعزى أقام عشرين سنة في الجبال المشرفة على أيت تامليل بين أيت مديوال ودمنات من بلاد هسكورة.

(67) كان عبدا صالحا من أهل قصر كتامة، أخرجته محنة من بلده فاستقر بسبتة وبها مات سنة 613 هـ. راجع التشوف، ص 416.

(68) مانيلاً إنْكرُكِسْ أين المكذب ؟ والملاحظ أن التطور أدى إلى أن هذه النون في إينكركس أفسحت المجال للميم إيمكركس عند كثير من القبائل اليوم.

(69) هذه عبارة المؤلف، لأن إشبيلية لم تسقط في أيدي النصارى إلا في عام 646 هـ، ولاشك أن عبارة «جبرها الله» التي في النسخة الأخرى هي من بعض النساخ فيما بعد.

على مدينة فاس، قال فوصلنا الى (٨١) فاس، فسمعنا من أخبار الطريق ما كسر عزمة رفيقي وأقعده عن السفر وحيرني أنا وردني (٨٢) ثم وقع في نفسي أن أقصد الشيخ الصالح أبا يعزى متبركا به ومستشيرا له، وراغبا في بركة دعوته، فتوجهت إليه، فبلغته وهو في مسجده وحوله قوم كثير من البرابر والقبائل، فدخلت المسجد وجلست في ناحية منه، وأخذ أولئك في حوائجهم وما قصدوا فيه الى أن فرغوا وانصرفوا، ثم تقدمتُ إليه وحدثته حديثي (٨٣) بلسان الترجمان، قال فضمني إليه ضما كثيرا طويلا وقبل رأسي ثم جعل يأخذ شعر أطراف عذاري فيجذبه جذبا رفيقا ثم يقبل فيه وفي يده، ثم قال لترجمانه قل له سر على بركة الله ! فإنك لا ترى بأسا، وسيصحبك [فيه] (٨٤) من اليسر والرفق والمعونة (٨٥) ما تقر به عينك. ثم ذكر توجهه وخروجه من فاس الى الرباط، رباط تازى جبره الله (70)، قال ففي أول يوم أدركت رجلا معه اثنتا عشرة دابة من البغال، قال فلما نظر إلي قال لي يا فتى طريقك الى الرباط ؟ قلت نعم قال اركب دابة من هذه، فركبت فلما جاء وقت الغذاء أخرج سفرة فيها زاد طيب واستدعاني، فقلت إني غني ومعي زادي، فعزم علي. وكذلك في العشاء. فلم يزل على ذلك إلى الرباط. ثم قال لي أين تتوجه ؟ قلت إلى مدينة تلمسان جبرها الله، فقال ونحن كذلك، فلم يزل على ذلك الى تلمسان، ثم سألني كمثل السؤال الأول، فقلت إلى بجاية، فقال إن رب الدواب ببجاية، وإليها القصد إن شاء الله، قال ثم لم أزل في سفري على ذلك حتى أكمله الله، وقفلت سالما والحمد لله رب العالمين.

وحدثنا الفقيه الواعظ أبو اسحاق إبراهيم بن الخطيب قال سمعت خطيب مصمودة وزان (71) الشيخ الصالح أبا الطاهر، قال وما رأيت أعبد(٨٦) منه، يقول كنت عند الشيخ الصالح أبي يعزى في بيته ونحن وأصحابه نصطلي بالنار وهو معنا، إذ جاء رجل فسلم عليه، فحدق النظر إليه

---

(٨١) ب من.

(٨٢) ب وردني.

(٨٣) ب بحديثي.

(٨٤) سقط من ب.

(٨٥) ب المعاونة.

(٨٦) ا أعند.

(70) دخل المرينيون رباط تازى أول مرة سنة 613 هـ، ولاشك أن هذا الدخول هو المشار إليه هنا، وقد ظل السبتيون وعلى رأسهم أسرة بني العزفي ولاء للموحدين أربعين سنة بعد هذا التاريخ.

(71) قد تكون هذه أول إشارة إلى وزان في المصادر المكتوبة .

ثم قال له ابسط يدك وحركها فبسط يده وحركها، فقال اربطوه فإنه قتل أخاه، فاشتد واشتد الناس خلفه، فقبضوا عليه بعد أن كاد يفوتهم، فإذا الأمر كما قال.

قال المؤلف رضي الله عنه حدثنا صاحبنا الطالب المكتب أبو عبد الله محمد بن حيون قال حدثني أبو الربيع سليمان بن عبد العزيز المعدل المكتب أيضا رحمه الله قال لما مشيت إلى زيارته في صحبة الحاج الصالح أبي محمد بن عاصم فظهرت له كرامات في الأيام التي كنا عنده، وذلك أن زائرا جاءه وجاء معه بحمل على حمار له، فلما كان بينه وبين الشيخ أبي يعزى، يسير، أعيى حماره فلم يقدر على توصيله عليه، ثم قصد نحو الشيخ صاحبه وقال له مالك فأخبره الخبر، فنهض الشيخ معه إلى حيث ترك الحمار والحمل، قال صاحب الحمار فلما قربنا من موضع الحمل والحمار رأيت سوادا عظيما عندهما فلما قربنا (٨٧) منه إذا هو أسد، وتلك البلاد مأسدة، قال صاحب الحمار فيئست من الحمار فقلت قد أكله أو يأكله قال فعرف ما في نفسي وقال لي لا بأس عليك، قدم الحمار إلى المنزل، فقدمته، ثم قال لي تعال إلى الحمل ! فقلت في نفسي على من يرفعه ؟ على نفسه أم علي ؟ فذهب إلى ناحية الأسد، فلما قرب منه بصبص وحرك رأسه وذنبه كما يفعل الكلب مع من عرفه فقال لي ارفع معي الحمل عليه، فرفعته معه، ثم قدمه الى المنزل، فحط عنه وذهب، وقال له اذهب [و] (٨٨) لا تؤذ أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو عبد الله الطالب المذكور أيضا، عن سليمان المذكور أيضا، إن زوارا قدموا عليه في تلك الأيام التي كنا عنده فيها فأقبل عليهم الإقبال الحسن المعروف منه، إلا واحدا منهم لم يلتفت إليه، فلما انفصلوا عنه سئل ما السبب الذي أعرض عنه الشيخ من أجله، فقال لا علم لي إلا أن العمامة التي على رأسي في ثمنها درهمان ليس كسبهما طيبا حلالا، وأنا استغفر الله وأتوب اليه.

وقال أبو عبد الله المذكور حدثني الحسن بن الشيخ الصالح أبي علي مهدي بن صاعد رحمه الله قال رحلنا إلى الشيخ أبي يعزى مرة ونحن في

---

(٨٧)ب قربت.

(٨٨) سقط من ب.

جملة وافرة، فاشتهينا بحكم السفر والبعد من الحواضر والأهل أنواعا من الأطعمة، كل اشتهى شهوة غير شهوة صاحبه، وتذاكرنا ذلك فيما بيننا في الطريق، فلما انتهينا إليه أتانا بتلك الأطعمة التي تذاكرناها بيننا، وقال كلوا ما اشتهيتم ! فجعلنا نعجب من ذلك ويقول بعضنا لبعض وقد استحيينا من ذلك، من أخبر منكم الشيخ بهذا ؟ فلم يلف فينا أحد أخبر بذلك، وانما كان حديثا بيننا وحدنا.

قال المؤلف رضي الله عنه وها نحن نلمع من مرسلات كراماته بيسير، ومما أسند لنا من ليس في معرفة النقل بالشهير، أو مما أسند لنا فنسينا من حدث به من معتمد أثير، فنبهك بذلك على أمثالها مما يحدث به الجم الغفير، ويتداوله من أهل [الحاضرة والبوادي الدهماء والجماهير] (٨٩). وفيما أوردناه من المسند المعتمد غنية وبلاغ فهو طيب كثير، فتعالى من يرفع درجات من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

حدثنا الشيخ الخير صاحبنا أبو الحسن علي بن عبد الله قال حدثني الفقيه أبو الصبر قال كنت عند الشيخ أبي يعزى فعرضت لنا حاجة الى تجديد الوضوء، فنزل الشيخ الى الوادي، ونزلت معه، فانتهينا الى الوادي، فإذا بسبع قد أقبل علينا، فتقدم اليه الشيخ، وقال لي ما جاء بهذا الأسد إلا أمر، إني لأجد في نفسي ذلك. ثم توضأ وجاء الشيخ فأخذ كساءه، وأشار على الأسد، فذهب ثم قال جئنا الى المسجد، فدعا أحد بنيه وقال له هل عرض لكسيبتنا شيء ؟ فقال إن بقرنا غاب منها رأسان وجاء في بقرنا مما ليس لنا رأسان قال فأقبل علي وقال لي هذا الأمر الذي أتى به الأسد، ولم يعرف الذي حدثني من قبل الفقيه أبي الصبر ما كان آخر هذا الأمر.

قال المؤلف رضي الله عنه وحدثت عنه أنه حين نزل من الجبال والبراري الى السواحل استقبل ساحل آسفي من بلاد دكالة كلأها الله، فعرض في طريقه بيوتهم ومنازلهم، وهي أخصاص، فدخلها من غير قصد لأن وصوله إليها كان ليلا، فشق وسط البيوت، وكان في بيت منها امرأة شابة تبكي تستغيث بوجع بعينها منعها من النوم، فلما مر بها مسح بيده عينها فبرئت لحينها فجعلت تنادي من هذا الرجل المبارك الذي مسح عيني فشفاني الله على يديه ؟ باللسان الغربي.

---

(٨٩) ا : الحضارة والبداوة والدهماء الجماهير.

وحدثني الحاج أبو إبراهيم عن الشيخ أبي عبد الله الخير الذي كان يعرف بابن تادفلى من أهل مكناسة الزيتون أنه قال قرب عيد الأضحى وكنت ساكنا مع الناس في دار، وكان لي أولاد، ولم يكن عندي شيء أضحي به، واشترى جيراني ضحاياهم، فشق علي أن يكون أولادي [لا] (٩٠) ضحية لهم، فعظم ذلك على أمهم وتناكدنا (٩١) في ذلك، فوقع في نفسي أن أخرج إلى الشيخ الصالح أبي يعزى لتكون ضحيتي من عنده. قال فسرت إليه وأتيته من طريق كانت الدار تعلوها، ثم أخطأت الطريق، وجعلت أمشي في أرض شائكة أضرب فيها يمينا وشمالا، فرآني الشيخ فقال لأحد بنيه قد ضل عليه الطريق، فأته فأرشده. فقال فوصلت إليه، فسلمت عليه، فلم يرد علي السلام، ثم قال جئت في طلب الضحية لبنيك تريد أن تذبحهما وتعلقهما وتشرب عليها الخمر ؟ فاذهب الآن فتطهر، فإن عليك جناية من أهلك، وتب لله تعالى من ذلك ومن شرب الخمر، فقلت أتوب إلى الله، فذهبت فاغتسلت وقضيت ما علي، ثم أتيته، فقال توب سرب العالمين (72) ! فقلت: توبغ سرب العالمين (73). ثم أعطاني كبشا، فقال ضح به. قال فجعلت أقول في نفسي كيف أوصله ؟ وعلى أي شيء أحمله ؟ وكيف أخلص به من بين أغنام هذه البلاد ؟ فعرف ما في نفسي، فقال لي يصل إن شاء الله. ثم ودعته. قال فسرت والكبش يتبعني، ثم يرى الغنم تتصايح به من المراحل والمجاشر والمراعي من جنبات الطريق، فيقف، ولا يمكنني الوقوف، فربما بعد عني بالميل أو نحوه، وربما غاب عني ثم يشتد خلفي كما يتبع الخروف أمه حتى بلغت منزلي، وكان ضحيتي. وهذا شبيه بحديث الشيخ الصالح الحاج ابن عاصم السبتي، وقد تقدم.

وحدثني أبو الحسن علي بن الحاج الأندلسي قال حدثني الطالب الصالح أبو يحيى الدكالي قال حدثني أبي، وكان من زوار الشيخ الصالح أبي يعزى، أن بعض زوار أبي يعزى كان وصل إليه، وكان من دأبه أن يجلب العنب للشيخ من بلد ركَراكَة (٩٢) المصامدة، قال فجئنا في جملة من زواره من أهل تلك البلاد، قال فلما شارفنا منزله وطمعنا في المبيت عنده، غربت

---

(٩٠) سقط من ا.
(٩١) ا تناكرنا.
(٩٢) ا بلاد.
(72) تبُ لرب العالمين.
(73) تبتُ لرب العالمين.

الشمس وأظلم الليل، فعزمنا [على] (٩٣) أن نصبحه، فبتنا بالفلاة حيث تعذر علينا الوصول. وكان على مقربة قياطين ومراحل للغنم من أهل بلاد (٩٤) فازاز(74) فأحسوا بنا، فقصدوا الينا، وعابوا المبيت هنالك، ورغبوا في الوصول إليهم، ففعلنا. فلم ننشب أن سمعنا الصياح من كل قيطون ومن كل مرحلة وهدير السباع من كل ناحية، ودفاع أهل تلك المنازل عن أنفسهم، فالّهم الله جالب (٩٥) العنب، وجرى على لسانه أن قال يخاطب الأسد أنت في الدعوة للشيخ أبي يعزى. قال فذهب، وهدأت تلك الأصوات. فلما أصبح، غدونا على الشيخ الصالح، فسلمنا عليه، فأحسن الرد على عادته ثم قال الذي دعوتم قد سبقكم. فنظروا إلي ناحيته فقال له إياك أن تؤذي مسلما ! اذهب رزقك الله رزقا لا تؤذي به مسلما.

قال المؤلف رضي الله عنه ومن أعجب الأعاجيب، وأوضح الشواهد على أنه عن الحقيقة ناطق وبلسان العلم مجيب، ما حدثني به الفقيه الفاضل أبو الصبر رحمه الله قال وصل إلى الشيخ الصالح أبي يعزى كتاب من الشيخ الصالح الفقيه أبي شعيب أيوب نزيل آزمور المعروف بالسارية يلومه على كشف أسرار المسلمين وينهاه على هتك أستارهم، ويتقدم إليه بمثل قوله عليه السلام من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة (75) وقال له يأتيك الزوار والوفود، فتقول لهذا فعلت كذا، ولهذا: فعلت كذا، ولهذا كان منك كذا، ولهذا أنت الذي تفعل كذا وكذا، اتق الله في أمة محمد عليه السلام أو نحو هذا من القول. قال فأخذ كتابه لما قرىء عليه وقال للحاضرين عنده من الزوار الوافدين مازيغ دامغار (76) [ومعنى هذا باللسان الغربي مولاي الشيخ] (٩٦) أبو شعيب يلومني على إخراج أسرار الناس وفضيحتهم لقبيح أعمالهم ! وهل هذا في قدرة بشر أو وسع أحد أن يعرف أسرار الناس وأفعالهم في الغيب حتى يفضحهم بها بين الأشهاد ؟ إنما هو شيء يلقى الي وأوخذ بقوله، ويقال إنما أنت آية من

---

(٩٣) سقط من ب.

(٩٤) ب بلد.

(٩٥) ب صاحب.

(٩٦) سقط من ا.

(74) السفح الشمالي للأطلس المتوسط اليوم.

(75) لفظ هذا الحديث مختلف هنا عما عند الطبراني والإمام أحمد (الجامع الصغير، ص. 179).

(76) لا ندري ما محل حرف الدال بين مازيغ وأمغار.

ايات الله تعالى، والمراد منك أن يتوب الظق على يدك. وقال لي ابنه أبو محمد، وقد حدث بنحو من هذا عن الشيخ أبي شعيب، وقال في آخر الحديث: إني لا أقدر على الكف عنه، بل أنا مغلوب عليه،أنخس وأغمز ويقال لي قل ! فأقول. وهذا عذر واضح، وحق (٩٧) لائح، اللهم استر عورتنا وأمن روعتنا يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين [وإمام المرسلين وعلى آله أجمعين والحمد لله رب العالمين] (٩٨)

قال المؤلف رضي الله عنه ومما ظهر من كرامات الشيخ الصالح بعد موته ما سمعت الفقيه أبا الصبر يحدثه غير مرة، وحدثني به الشيح الرائس المشهر (٩٩) أبو عبد الله الغلاّظي ولفظه أكمل. وكان رائس المركب المسمى بالمخلوف، قال الرائس المذكور ركب معي الفقيه أبو الصبر حاجا في المركب المذكور، قال فانتهينا الى بر جراحي وهو من ناحية قصير اسفاقس (77) وهو مع ما اتصل به يسمى جون زديك (78) (١٠٠) وطرفه من ناحية المشرق يدعى بطرف أوثان (79)، ومن أجازه مشرقا قيل له عدى، فغلنت (١٠١) علينا الرياح، يعني ركدت، وأشفقنا من ذلك، وطالت علينا الأيام، والعادة مستقرة أن من نشب في ذلك الجون (١٠٢) ولم تساعده رياح مؤتاة له مسخرة، ربما حال عليه فيها الحول قال الرائس المذكور فبينما أنا في فرشة المركب يعني غرفته إذ صعد الي الفقيه أبو الصبر من طارمته، يعني مسكنه في المركب، وقال لي رأيك في بركات الصالحين ؟ فقلت رأى جميل وصالح. فقال لي عندي جبة الشيخ الصالح أبي يعزى أعطانيها في سفر من أسفاري إليه، فعلقها في الجناح لعل الله يرزقنا ما يبلغنا ويوافقنا من الرياح. قال الرائس فأخذتها من يده وطلعت بها حتى كسوتها جناح المركب الأيمن ثم شددتها بحبل احتياطا (١٠٣). قال الرائس فما هو الا أن

---

(٩٧) ا جو

(٩٨) زيادة في ب.

(٩٩) ب المشتهر.

(١٠٠) ب ك بحوارديك.

(١٠١) فقلبت.

(١٠٢) ب الجوز.

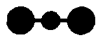
(١٠٣) ب اختياطا.

(77) راجع البكري.

(78) الجوز أو الجون، الطرف، والكاف في زَدِّيكْ معقوفة، ورسم الكلمة عند الإدريسي (نزهة، 100) زديق.

(79) راجع نزهة المشتاق، 103 والروض المعطار، 69.

جلست مجلسي فدارت الرياح أجد دورها في قفاي لذلك الحين. قال لي الرائس فقلت للبحريين خدمة المركب خذوا كذا، خذوا حبل كذا، وخذوا حبل كذا مما هو من صنعتهم. قال فوالله ما فترت عنا ريح حتى عدينا وأرسينا بالإسكندرية. قال لي الفقيه أبو الصبر أعطيت هذه الجبة بثغر الإسكندرية للشيخ الصالح أبي عمران الفران، وكانت من تليس مُضلع رقيق يشبه الأكسية الغلاظ.



خاتمـــة

في ذكر الولاية والولي
وتفسير معانيهما (١) بمقال جلي

قال الله تعالى ألاَ إنَّ أوْلياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ علَيْهِمْ ولا هُمْ يحْزَنُونَ (1)
قال بعض المحققين أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. وقد فسر ذلك بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون (2)، فهو توليهم إياه (٢) ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة (3)، فهو توليه إياهم.

وعن سعيد ابن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم. وفي لفظ آخر هم الذين إذا رؤوا ذكر الله (4) يعني السمت والهيبة، وعن ابن عباس الإخبات والسكينة. قال القاضي أبو محمد (5) وهذا (٣) وصف لازم للمتقين لأنهم

---

(١) ا معنييهما.
(٢) ب : له.
(٣) ب : وهو.
(1) يونس / 62.
(2) يونس / 63.
(3) يونس / 64.
(4) مسند الإمام أحمد، 3، 430.
(5) عبد الحق بن عطية، قاضي إشبيلية، صاحب *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، توفي عام 541 هـ.

يَخشعون ويُخشعون. وذكر الطبري عن جماعة من العلماء أولياء الله هم الذين إذا رآهم أحد ذكر الله. وقيل هم المتحابون في الله.

وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة. قال يا رسول الله، خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم، قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. ثم قرأ الآية.

وقال علي رضي الله عنه أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من العبر، خمص البطون من الجوى، يبس الشفاه من الدوى (٤).

وقال ابن كيسان (6) هم الذين تولى الله، هداهم بالبرهان، وعن الغزنوي (7) محمد بن أبي يزيد لا خوف عليهم في ذريتهم، لأن الله تعالى يتولاهم، ولا هم يحزنون على دنياهم، لتعويض الله إياهم في أولاهم وأخراهم، لأنه وليهم ومولاهم.

وقال ابن عطية يحتمل أن يكون في الآخرة، أي لا يهتمون فيها (٥) ولا يخافون عذابا ولا عقابا ولا يحزنون لهالك (٦)، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا، أي لا يخافون أحدا من أهل الدنيا.

قال المؤلف رضي الله عنه وكذلك أخبر الله عن أنبيائه، قال سبحانه ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله (8). وقال صلى الله عليه وسلم: ما سلط على ابن آدم إلا من خافه، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله ما سلط الله عليه غيره.

قال ابن عطية ولا يخافون من أعراضها ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها، والأول ظهر، والعموم في ذلك صحيح، لا يخافون في الآخرة جملة، ولا

---

(٤) ب : الزوى. (٦) ب لهلاك.

(٥) ب ا بهما.

(6) محمد بن إبراهيم، لغوي، مفسر، من كتبه *معاني القرآن*. توفي عام 992 هـ.

(7) ابن طيفور السجاوندي، مفسر، مقرئ، لغوي، توفي عام 56 هـ.

(8) الأحزاب / 39.

في الدنيا الخوف الدنيوي الذي هو فوت آمالها وزوال منازلها، وكذلك في الحزن. وقوله الذين آمنوا، يصح أن يكون في موضع نصب بالترجمة على أولياء. قال المؤلف رضي الله عنه ويعنون بالترجمة البدل. أو في موضع رفع على خبر الابتداء، ويصح أن يكون مبتدأ، والخبر في قوله لهم البشرى. وكانوا يتقون، يحتمل أن تكون [كان] (٧) ناقصة، ويحتمل أن تكون تامة. ويتقون: لفظ عام في تقوى الشرك وغيره. وقيل [في موضع رفع على المدح. وقوله في الحياة الدنيا، أي عند الموت بأن يرى مكانه في الجنة. وقيل:](٨) البشرى في الحياة ما بشر (٩) الله به المؤمنين في غير ما آية من كتابه. وعن ابن عباس هي قوله سبحانه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (9).

وفي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله! الرجل يعمل العمل ويحبه الناس ؟ قال ذلك عاجل بشرى المؤمنين(10).

وعن عطاء (11) البشرى في الحياة أن يأتيهم الملائكة بالرحمة، لقول الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (12). وقيل هي الرؤيا الحسنة يراها المسلم أو ترى له، تظاهرت بذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي الدرداء وعمر بن حصين وابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو أن النبي صلى عليه وسلم سئل عن هذه الآية ففسرها بالرؤيا. وفي بعض ألفاظه الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له (13) وفي صحيح مسلم عنه عليه السلام أنه قال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة (14) وروت عنه أم كرز أنه قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، وعن قتادة والضحاك البشرى

---

(٧) سقط من ا. (٩) ا يسر.

(٨) سقط من ب.

(9) الأحزاب / 47.

(10) صحيح مسلم، كتاب البر، 166.

(11) عطاء بن رباح، المفتي المكي، توفي سنة 115 هـ.

(12) فصلت / 30.

(13) صحيح البخاري، عند تفسير سورة فصلت، 1 - 3.

(14) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، 307.

في الدنيا هي ما يبشر به المؤمن عند الموت وهو حي عند المعاينة. ويقوي أنها بشائر القرآن قوله لا تبديل لكلمات الله (15)، ويعارض هذه الأقوال كلها ما هو أولى منها تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للبشري في الحياة الدنيا بالرؤيا، إلا [أن] (١٠) يقول قائل إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى مثالا من البشرى، والآية تعم ما قاله جميع الناس، وقوله لا تبديل لكلمات الله، أي لا خلف لمواعده ولا راد لأمره، والفوز العظيم إشارة الى التعميم الذي وقعت به بالبشرى.

قال المؤلف رضي الله عنه الولي وزنه فعيل، وفعيل، يقال بثمانية معان، يفسر معناه بمعاني ثمانية أبنية الحاجة منها ها هنا الى ثلاثة. فقال من تقدمنا الولي له معنيان

أحدهما معنى مفعول كجريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول وهو من يتولى الله سبحانه أمره وحفظه وحراسته على إدامة الطاعة وتوالي الإستقامة فلا يحلو له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، ويديم له التوفيق الذي هو قدرة الطاعة. قال تعالى وهو يتولى الصالحين (16) والثاني بمعنى فاعل، مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وهو الذي يتولى عبادة الله، وطاعته بعبادته، تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوجهين سائغ. حتى يكون الولي وليا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والإستيفاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء.

قال المؤلف رضي الله عنه أن يكون فعيل بمعنى مفاعل أولى من من أن يكون بمعنى فاعل، فيكون الولي الموالي للطاعات والقربات المواصل للعفاف والتنزه عن المخالفات. وفعيل قد يأتي بمعني مفاعل كحسيب في معنى محاسب ونديم في معنى منادم.

وقال المؤلف رضي الله عنه وهو معنى قول سهل بن عبد الله التستري (17) الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة. قال القاضي أبو

---

(١٠) سقط من ا

(15) يونس / 64.

(16) الأعراف / 196

(17) أبو محمد، الصالح المشهور من أهل القرن الثاني للهجرة. مات بالبصرة. *وفيات الأعيان* 2 429

محمد أولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة. فظاهر الآية يدخل من آمن واتقى فيهم، وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الشريعة في الولي. وإنما نبهنا بهذا حذرا من قول بعض الصوفية والملحدة في الولي.

قال المؤلف رضي الله عنه وكل ما فسر به الولي من فسره فهو عيال على ما ثبت هنا من الأقوال، إذ حقيقة الولاية القرب. تقول وليني كذا إذا قرب منك. وتقول وليني الخير ووليته الشر. وتقول هذا ثم الذي يليه لا حاجز بينهما ولا فارق. فولي الله عبارة عن أقرب خلقه إليه وأدناهم منه، وذلك بالمكانة عنده والمنزلة لديه. وتعالى الحق سبحانه عن المكان (*). فكل من كانت حاله طاعة لا معصية فيها واستقامة لا عوج فيها وشهودا لا غيبة فيه فهو ولي الله حقا، وأولى الناس به صدقا وإن لم يمش على الماء ولا يحلق في جو السماء. فتلك فروع عن هذه الأصول. والله أعلم.

فصـــل

من شروط الولي عند أرباب الحقائق من أهل هذه الطرائق أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فدعاويه للولاية عراض (١١). وفي أولئك قول الله سبحانه أَلا إِن أَوْلِياءَ اللَّـه لاَ خَوْفُ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنونَ (18). وقال الله تعالى إِنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لهمْ منَّا الحسنى (18 مكرر). ثم قال لايَحْزُنُهُمْ الفَزَعُ الأكْبَرُ (19)

وقال أبو يزيد فيمن ذكر له بالولاية، فقصده، فرآه يتنخم في قبلة المسجد قبل أن يلقاه، فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، فكيف يكون أمينا على أسرار الحق ؟ وقال بعض الناس **لا يبعد أن تقع منه هنات وزلات في بعض الأوقات، فقد قيل للجنيد(20) العارف يزني يا أبا القاسم ؟ فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال وكَانَ أمرُ اللَّـهِ قَدَراً مقْدورا** (21).

---

(18) يونس /

(18 مكرر) الأنبياء / 101.

(19) الأنبياء / 103.

(20) أبو القاسم، الزاهد المشهور، من فقهاء العراق أثر عنه كلام في الحقائق. توفي عام 297 هـ أو عام 298 هـ.

(21) الأحزاب / 38.

(*) «المكان» توجد بالهامش.

(١١) ب إعراض.

قال المؤلف رضي الله عنه هذا غير صحيح، لأنه إذا كان ذلك زال عن مقام ولايته وسقط من (١٢) درجته، وزال عنه اسم الولي، وعلى هذا تنزل كلام الجنيد. وهذه المسألة فرع عن (١٣) المسألة الأخرى، ورسمها هل يجوز للولي أن تتغير عاقبته، وسيأتي القول فيها إن شاء الله.

فصـــل

فإن قيل فهل يسقط الخوف عن الأولياء ؟ قيل أما الغالب على الأكابر فكان الخوف، وذلك الذي قلنا فيما تقدم على جهة الندرة غير ممتنع. وهذا السري السقطي (22) يقول لو أن واحدا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طائر يقول له بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله! فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكورا. وأمثال هذا من حكاياتهم كثير (١٤).

فصـــل

فإن قيل فهل يجوز أن يكون وليا في الحال ثم تتغير عاقبته ؟ قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة، لا يجوز ذلك. ومن قال إنه في الحال موقن (١٥) على الحقيقة، وإن أجاز أن يتغير حاله لا يبعد أن يكون في الحال وليا صديقا ثم يتغير، وهذا الذي نختاره، ويجوز أن يكون من جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العافية وأنه لا تتغير عاقبته، فتلحق هذه المسألة بما ذكرنا أن الولي [يجوز] (١٦) أن يعلم أنه ولي.

فصـــل

[فإن قيل] (١٧) فهل يزايل الولي خوف المكر قيل إذا كان مصطلما عن شاهده، مختطفا عن إحساسه بحاله، فهو مستهلك عنه فيما استولى عليه. والخوف من صفات الحاضرين بهم.

فصـــل

فإن قيل فما (١٨) الغالب على الولي في أوان صحوه ؟ قيل صدقه في

(١٢) ب عن.
(١٣) ب من.
(١٤) ب صحيح.
(١٥) ب مومن.
(١٦) سقط من ب.
(١٧) سقط من ب.
(١٨) ا في.

(22) خال الجنيد، من رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، اشتهر بالورع وعلم التوحيد. مات ببغداد في منتصف القرن الثالث الهجري.

أداء حقوقه سبحانه، ثم رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله، ثم إبساط(١٩) رحمته لكافة الخلق، ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلب الإحسان من الله إليهم من غير التماس منهم، وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم، والتوقي عن استشعار حقد عليهم، مع قصر اليد عن أموالهم، وترك الطمع بكل وجه فيهم، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم، والتهاون عن شهود مساويهم، ولا يكون خصما لأحد في الدنيا والآخرة.

فصل

واختلفوا في الولي هل يجوز أن يعلم أنه ولي أم لا؟ فمنهم من قال لا يجوز ذلك. وقال إن الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير، وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أن يكون مكرا، وهو يستشعر الخوف دائما لخوف سقوطه عما هو فيه بأن تكون عاقبته بخلاف حاله، وهؤلاء يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل. قال الأستاذ العالم أبو القاسم وإلى هذا [كان] (٢٠) يذهب [بعض] (٢١) من شيوخنا الذين لقيناهم، الإمام أبو بكر بن فورك رضي الله عنه. ومنهم من قال يجوز أن يعلم الولي أنه ولي وليس من [شرط تحقيق الولاية في الحال الوفاء في المآل ثم إن كان ذلك من] (٢٢) شرطه أيضا، فيجوز أن يكون هذا الولي خص بكرامة هي [من] (٢٣) تعريف الحق إياه أنه مأمون العاقبة، إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب، وهو [و] (٢٤) إن فارقه خوف العاقبة فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال (٢٥) في الحال أشد وأتم، فإن اليسير من الهيبة والتعظيم أهدى (٢٦) للقلوب من كثير من الخوف، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة من أصحابي. فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح (٢٧) بعد ذلك في حالهم. ولا من شرط صحة المعرفة بالنبوة الوقوف على حد المعجزة، ويدخل في جملته العلم بحقيقة الكرامات. فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه إلا أن يميز بينها وبين غيرها، فإذا رأى شيئا من ذلك علم أنه في الحال على الحق، ثم يجوز أن يعرف أنه في (٢٨)

---

(١٩) ب : انبساط.
(٢٠) سقط من ب.
(٢١) سقط من ا.
(٢٢) سقط من ا.
(٢٣) سقط من ب.
(٢٤) سقط من ا.
(٢٥) ب : الجلال.
(٢٦) ا : أهل.
(٢٧) ب : يقدحوا.
(٢٨) سقط من ا.

المآل يبقى على هذه الحالة. ويكون هذا التعريف له كرامة. [و] (٢٩) القول بكرامات الأولياء صحيح. وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك. وإلى هذا القول كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم، الأستاذ أبو علي الدقاق (23) رحمه الله.

فصل

قال المؤلف رضي الله عنه قد أوردنا في معنى الولاية والولي من كلام أهل الظاهر ما فيه من معاني الولي شفاء، ونورد من كلام محققة الصوفية ما فيه بمعانيهما على حكم الباطن وفاء.

قال الواسطي (24) حظوظ الأولياء مع تباينها في أربعة أسماء، وقيام كل فريق باسم منها هو الأول والآخر والظاهر والباطن. فمن فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام. فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى من السرائر من أنواره، ومن [كان] (٣٠) حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسم الآخر كان مرتبطا بما يستقبله، وكل كوشف على قدر طبعه وطاقته، إلا من تولاه الحق بيده وقام عنه بنفسه. هكذا أورده السلمي (25) في كتابه (26) عن الواسطي، وأورده الأستاذ أبو القاسم (27) في رسالته عن أبي يزيد(28)(٣١)، وقال هذا الذي قاله أبو يزيد (٣١) يشير إلى أن الخواص من عباده الذين ارتقوا على هذه الأقسام، فلا العواقب هم في ذكرها، ولا

---

(٢٩) ب : من.

(٣٠) سقط من ا.

(٣١) ب زيد.

(23) الحسن بن علي النيسابوري، الفقيه الصوفي الأصولي. أستاذ القشيري وصهره. كان إمام وقته. توفي عام 412 هـ حسبما في وفيات الأعيان (3 208).

(24) أبو محمد بن موسى، من قدماء أصحاب الجنيد وأبي الحسن النوري، أصله من فرغانة. كان عالما بالأصول وعلم الظاهر. أكثر كلامه بمرو. مات بعد 320 هـ. طبقات الصوفية، ص 302 وكشف المحجوب، ص. 199 و 366.

(25) محمد بن الحسين، أبو عبد الرحمان، صوفي، محدث، حافظ، مفسر، نيسابوري قدم بغداد مرات وحدث بها. توفي ببلده عام 412 هـ.

(26) طبقات الصوفية.

(27) القشيري، معرف به أعلاه.

(28) البسطامي.

السوابق هم في فكرها، ولا الطوارق هم في أسرها. وكذا أصحاب الحقائق يكونون محوا عن نعوت الخلائق.

قال الله تعالى وتَحْسِبُهم أيْقاظا وهُمْ رُقُودٌ (29).

وقال أبو عبد الرحمان السلمي قال بعضهم في قوله تعالى "ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (30) : عرض للأولياء بإزالة الخوف والحزن عنهم إلى مقام أهل الاصطفاء والاجتباء لأن ذلك أقدارهم حتى يحيى قدره الذي لا يوصف بوصف يظهر عليهم من الكرامات (٣٢) ما يزيل الخوف والحزن عن أهل الأكوان ببركاتهم.وقال الواسطي علامة الولي أربعة الأول، أن يحفظ سرائره التي بينه وبين ربه فيما يرد على قلبه من المصائب فلا يشكو. والثاني، أن يصون كرامته فلا يتخذها رياء ولا سمعة ولا يغفل عنها هوانا والثالث، أن يحمل أذى خلقه فلا يكافيهم. والرابع، أن يداري عباده على تفاوت أخلاقهم لأنه رأى الخلق لله وفي أمر القدرة (٣٣)، فعاشرهم على رؤية ما منه إليهم.

وقال أبو عبد الرحمان السلمي سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت محمد بن معاذ النهرداري يقول صفة الأولياء أن يكون الفقر كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، وحب الله حرفتهم، وإلى الله حاجتهم، الله حافظهم، ومع الله تجارتهم، وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم، وعليه توكلهم، والجوع طعامهم، والزهد ثمارهم، وحسن الخلق لباسهم، وطلاقة الوجه حليتهم، وسخاوة النفس حرفتهم، وحسن المعاشرة صحبتهم، والليل فكرتهم، والنهار غيرتهم. أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

قال أبو سعيد الخراز (31) الأولياء في الدنيا يطيرون بقلوبهم في الملكوت، يرتادون ألوان الفوائد (٣٤) والحكمة، ويشربون من عيون المعرفة، فهم

---

(٣٢) ب الكرامة.

(٣٣) ب القوة.

(٣٤) ا الفرائد.

(29) الكهف / 18.

(30) يونس / 69.

(31) أحمد بن عيسى البغدادي، صوفي من أقران الجنيد، توفي في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

يفرون من فضول الدنيا، ويأنسون بالمولى، ويستوحشون من نفوسهم إلى وقت موافاة رسول الرحيل.

وقال أيضا نفوس الأولياء تنوب كما ينوب الملح في الماء للحفظ على أمور المولى في مواقيتها. ولأداء الأمانة في كل ساعة. وقال إن نفوس الأولياء حملة قلوبهم، وقلوب الأعداء حملة نفوسهم، لأن نفوس الأولياء تحمل الأعباء في دار الدنيا طمعا في فراغ قلوبهم، وقلوب الأعداء تحمل أثقال نفوسهم من الشرك طمعا في راحة نفوسهم.

وقال أبو يزيد البسطامي أولياء الله عرائس الله، ولا يرى العرائس إلا من يكون محرما، وهم مخدرون عند الله في حجال الأنس لا يراهم أحد.

وقال أبو بكر الصيدلاني (32) وكان رجلا صالحا كنت أصلح اللوح في قبر أبي بكر الطمستاني، أنقر فيه اسمه في مقبرة الحيرة (٣٥) كثيرا، وكان يقلع ذلك اللوح ويسرق، ولم يسرق من غيره من القبور. فسألت الأستاذ أبا علي الدقاق يوما عن ذلك فقال إن ذلك الشيخ آثر الخفاء في الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه، وإن الحق سبحانه يأبى إلا خفاء قبره كما آثر هو ستر نفسه.

وقال أبو عثمان المغربي (33) الولي قد يكن مشهورا ولا يكون مفتونا، وهم من الآخرة كما قال الله تعالى في شغل فاكهون.

وقال يحيى بن معاذ الرازي (34) الولي الذي لا يرائي ولا ينافق. وما أقل صديق من كان هذا (٣٦) خلقه. قال بعضهم قلوب أهل الولاية مصابة في كل معنى لأنها موارد الحق سبحانه. وقال سهل الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة. قال بعضهم الولي من يصبر على البلاء ويرضى بالقضاء ويشكر على النعماء. وسئل أبو حفص عن الولي فقال من أيّد بالكرامات وغُيِّب عنها.

---

(٣٥) ب الحيرات.

(٣٦) ا هذه.

(32) محمد بن داود المروزي، فقيه، محدث، توفي نحو 427 هـ.

(33) سعيد بن سلام، من ناحية القيروان، اشتهر بالزهد وهو مقيم بالحرم، ورد نيسابور ومات بها سنة 373 هـ.

(34) واعظ من ينسابور، وبها مات سنة 258 هـ.

وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة، واعتنقوا الرواح (٣٧) بعد المجاهدة، بوصولهم إلى مقام الولايات.

وقال النصراباذي (35) ليس للأولياء سؤال، إنما هو الذبول والخمول. وفي رواية الخمود، وكان يقال نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

قال يحيى بن معاذ الولي ريحان الله في الأرض يشمه الصديقون فتطير رائحته إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم، ويزدادون عبادة على تفاوت حالهم.

وسئل الواسطي كيف يغذى الولي في ولايته ؟ فقال في بدايته في عبادته، وفي كهولته يستره بلطافته (٣٨)، ثم يجذبه إلى ما بين له من نعوته وصفاته ثم يذيقه طعم قيامه في أوقاته.

وقال الخراز إذا أراد الله أن يوالي عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجلس (٣٩) الأنس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب (٤٠)، وأدخله دار الفردانية، وكشف له الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلاهو. فحينئذ صار (٤١) العبد زمنا فانيا، فوقع في حفظه سبحانه، وبريء من دعاوى نفسه.

وقالوا من صفة الولي أن لا يكون له حقوق، لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل [وانتظار] (٤٢) محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته ليس له مستقبل يخاف شيئا، وكما لا خوف له لا رجاء له، لأن الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف، وذلك في الثاني من الوقت، وكذلك لا حزن له، لأن الحزن من حزونة الوقت، ومن كان في ضياء الرضى وبرد الموافقة فأنى يكون له الحزن. قال الله تعالى "ألاَ إن أولياءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ

---

(٣٧) ا الروح.
(٣٨) بلطفه.
(٣٩) ا مجالس.
(٤٠) ب الحجاب.
(٤١) ب صدر.
(٤٢) سقط من ا

(35) أبو القاسم النيسابوري، شيخ خراسان في وقته، كتب الحديث ورواه، جاور بالحرم، وتوفي عام 367 هـ. أو على النصراباذي شيخ أبي صالح القصار المذكور في كشف *المحجوب*، ص 337.

يحزنون (36) وقيل إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل أتحب أن تكون لله وليا؟ قال [نعم ! فقال] لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرغ نفسك لله، وأقبل بوجهك عليه، ليقبل عليك (٤٣) ويواليك. وقال أبو تراب إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله.

فصــل

لعلك تسمع ما تلمظ به بعض الغافلين أو الحسدة المبطلين أن الشيخ الصالح أبا يعزى كان من الجاهلين، وقال حدث عنه من رآه وسمع منه أنه كان لا يحفظ من كتاب الله و [لا] (٤٤) سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما يصلي به مثل المعوذتين وسورة الإخلاص. وحسبك [هذا] (٤٥) ممن هذا حظه من علوم الشريعة نقصا. فكيف يكون هذا وليا خلصا ؟

فاعلم أنه من نسب أولياء الله تعالى إلى الجهل فقد أعظم على الله الفرية، وأوذن بحرب من الله بلا مرية. فالجهل أس كل كبيرة، وأصل كل جريمة، وعنصر كل معصية، وينبوع كل رذيلة، فبالجهل جحدت الربوبية وفشا التعطيل والزندقة. أفي الله شكٌ فاطر السماوات والأرضِ (37). وأُشْرك في الوحدانية. ومن يُشْرِكْ بالله فقد افترى إثْما عظيما وقد ضلَّ ضلالا بعيدا وكأنما خَرَّ من السماء فتخطفُهُ الطَّيْرُ أو تهْوِي به الرِّيحُ في مكانٍ سحيق. وبه أنكرت النبوة، وجحدت الرسالة. اقتربت السَّاعةُ وانشقَّ القمرُ وإن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضوا ويقولوا سحْرٌ مُسْتَمِرٌ وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاءٌ مُبينٌ (38). ولو أننا نزّلنا إليهمُ الملائكةَ (39). واقتحمت الجرائم، واقترفت الكبائر. ومن يَعْصِ اللهَ ورسوله فإن له نارَ جهنَّم (40). وأطيعت الشهوات [فخلفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصَّلاةَ واتبعُوا الشَّهوات] (41) (٤٦) وعودي المرشد الناصح، ووُلي العدو المضل الكاشح. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحبوا شيئا وهو شرٌّ لكم (42). وأسخط الرحمن وأرضي الشيطان. أفَتَتَّخِذونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أولياءَ مِنْ دوني وهم لكم عَدُوٌّ بئسَ للظالمين بدلا (43). وانتهكت

---

(٤٣) ا عليه.
(٤٤) سقط من ا.
(36) يونس / 62.
(37) إبراهيم / 10
(38) القمر 1 - 2.
(39) الأنعام / 111.
(٤٥) سقط من ا.
(٤٦) سقط من ا.
(40) الجن / 23.
(41) مريم / 59.
(42) البقرة / 216
(43) الكهف / 50.

الحرمات، وخينت الأمانات، وأولف الغدر، وهجر الوفاء، واجتنب الاحتمال والصبر، ولزم الجفاء، والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصَلَ ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللَّعْنَةِ ولهم سوءُ الدار واللهُ لا يحب كل خوّانٍ كَفُورٍ (44)، وقولوا للناس حُسْناً (45). وعنه تفرعت المهلكات وتجرعت الأنفس الجحيم في الدركات من الحسد والغل والحقد والشح والبخل والغضب والشهوة والكبر والعجب والهوى المتبع. فأشنع الجهل وأفحشه جهل العبد بمن فطره وجحده رسالة من اصطفاه الله لرسالته وتخيره، وأيسره، وليس له أيسر، إتيان الصغيرة، وهو بالنظر إلى من عصيت أعسر، فكيف يكون الجاهل وليا فيتولى سيده أو يتولاه، وهو لم(٤٧) يتدين بشريعة سيده ولا تخلق بآداب مولاه، وقد بين لنا ربنا من يصطفيه وجلاه، فقال سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إنِ وليِّي الله الذي نزَّلَ الكتاب وهو يتولى الصالحينَ. فكيف يكون من ظهرت الآيات الزاهرة (٤٨) وخوارق العادات الباهرة (٤٩) على يديه جاهلا ؟ وكيف يكون العاقل في اعتقاده ذلك متساهلا ؟ والجاهل إن لم يكن كافرا فهو فاسق ولا نعني بالجاهل من علم فرض ليلته ويومه وقام بالواجب له عليه في إيمانه بالعلم بالله ورسوله والملازم (٥٠) له في اسلامه في صلاته وصومه وزكاته، فإنه من دهماء العلماء وفوق كل ذي علم عليم (46)، ومن قصر عن فروض يومه وليلته مع القدرة عليها ووجود السبيل إليها فهو فاسق بالإصفاق مذموم بالإتفاق. وهل يختلف أحد من أهل الإسلام في فسق من لا يقيم الصلاة ولا يوتي الزكاة لجهله (٥١). بل رآه بعض فرق الإسلام مارقا منه ليس من شيعته ولا من أهله. وحسبك برهانا على علم الشيخ أبي يعزى شاهدا، إن كنت في البحث عنه والتنقير جاهدا، أن العدد الكثير والجم (٥٢) الغفير من طلبة العلم، والزهاد والعباد المريدين ودهماء المسلمين من المقرين بكرامات الصالحين والمنكرين، بل من ذوي الريب المتشككين (٥٣)، لم يشاهدوا منه ولم ينقلوا عنه،

---

(٤٧) ا وهو يتدين.
(٤٨) ب الزاهرات.
(٤٩) ب الباهرات.
(44) الحج / 38.
(45) البقرة / 83.
(46) يوسف / 76

(٥٠) ا اللازم.
(٥١) ب يجهله.
(٥٢) ا الجماء.
(٥٣) ب المشككين.

مع طول عمره (٥٤) وكثرة المتبعين لأثره، إلا ما يحمده حملة الشريعة ويمدحه أهل الدين، لا في عبادة رب العالمين ولا مخالفة العالمين.

فهل صلاح العمل إلا بصحة علم الديانة والشريعة عند ذوي البصائر المنصفين ؟ ومن خدم أربعين وليا، وصحبهم من عمره الطويل مليا، حتى صار [لمقامهم أهلا] (٥٥)، كيف يكون بالله والمسلمين جاهلا ؟ فإن قلت إنه كان لا يحفظ القرآن، فكيف يكون وليا للرحمان ؟ ومن لا يحفظ سنة الرسول، كيف له بالتحقيق والوصول ؟ فالجواب أن هذا بظاهره لا يقدح في الإمامة (٥٦)، فكيف في الوصول. فقد قال علماء الأصول في كتاب الإجتهاد لا يحتاج إلى أكثر من حفظ آيات الأحكام من القرآن وأحاديثها من السنة ومسائل الإتفاق من الأعداد. بل قال بعضهم يقف عليها ذاكرا لها كلما احتاج إلى الإجتهاد من غير حفظ. وهؤلاء، الفقهاء من علماء المشرق، معظمهم لا يحفظ القرآن ومعظم العامة عندنا يحفظه فضلا عن الخاصة ! فما نقض فقههم ذلك ولا زاد فينا. وقد نقلوا عن إمام من أئمة اللغة والعربية، وهو أبو (٥٧) عبيدة معمر بن المثنى (47) مولى لهم، أنه كان إذا قرأ القرآن نظرا (٥٨) يخطئ فيه ولا يحفظه عن ظهر قلب، على أنه يقال إن كتابه المشهر بالمجاز (48) أول كتاب ألف في تفسير القرآن. وهذا، ولا كفران لله في حفظه، حرمان من لا يحفظه من أسنى حظه، لقوله عليه السلام الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة (49)، إلا أن يكون ذلك لغلبة العجمة عليه فيكون معذورا في التعبير عنه والصلاة به كمذهب أبي حنيفة أو في التعبير عنه من غير أن يصلي به في مناظرة أو مذاكرة أو محاورة، ولعل هذا الولي وصل بالعناية الأزلية إلى ما وصل إليه العصابة المكرمة الأولية من حقائق المعاني ولطائف الإشارات، وإن قصر في معاني الألفاظ ومباني العبارات.

---

(٥٤) ا : عمر.

(٥٥) ب لمقامه أهلا.

(٥٦) ب الأمانة.

(٥٧) ب ابن.

(٥٨) ا نظر.

(47) من علماء القرن الثاني للهجرة، قال الجاحظ لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه ولد سنة 110 وتوفي سنة 209 هـ.

(48) *مجاز القرآن*. حققه فؤاد سزكين، ونشر بمصر عام 1954.

(49) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، 52، وصحيح مسلم، كتاب المسافرين، 244. وسنن ابن ماجة، كتاب الأدب، 52.

قال علي رضي الله عنه ما عندنا إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة. وكان فيها العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر، أو فهم أعطيه رجل مسلم (50). فانظر إلى قوله أعطيه رجل مسلم، فإنه أشار به إلى أن من ثوابه على إسلامه، وجعل إلهامه إلى صوابه، من آيات صدقه وإعلامه. وهذا الموهوم المقدر بأولياء الله وخاصته أجدر وما مر في كراماته من جوابه لأحد الأعلام للإسلام أبي شعيب أيوب الملقب بالسارية لطول قيامه في صلاته ودوامه، وقوله للتوبة عندنا مائة شرط، إلى غير ذلك. فهذه نفحات العلم ونفثات اليقين وأنفاس الهدى، ولا يتوقف في هذا الأمر إلا من عاند الحق واعتدى، وشواهد ذلك وبراهينه ما استتب على الإستقامة من أقواله وأفعاله وبدا، وما ذاك في قدرة من ترك سدى، ولو كان لا يقيم قراءة المعوذتين وسورة الإخلاص مع حفظه لها لما نقصه ذلك عند ربه لغلبة العجمة عليه، والظن بمثله أن يبذل في تقويم ما أعوج وإصلاح ما فسد أقصى جهده ومبلغ ما لديه والحمد لله.

●•●

تتميم

ذكر الخضر*

قال المؤلف رضي الله عنه جرى في هذه الكرامات ذكر الخضر* رضي الله عنه، وكثر ذكره في حكايات الصالحين، ودوره في كرامات المخلصين، وما زلت من زمان طويل أسمع تلك الحكايات وأبحث عن تلك الأقاويل، فانتهى إلي أن الجماهير اختلفوا في حياته وموته وزمانه واسمه ونسبه ونبوته أو ولايته. فأثبت لك ها هنا ما انتهى إلي من اختلاف الفرق، وبينت لك واضحة الطرق. قيل اسمه أحمد وكنيته أبو العباس، وقيل هو أرمياء النبي عليه السلام، وأنكر ذلك الطبري ولحجج له ذكرها. وقيل اسمه اليسع. قاله مقاتل (1). [وقيل] (١) إنما سمي اليسع لأن علمه وسع ست سماوات وست أرضين. وقيل اسمه خضرون بن قابيل بن آدم. وقال النقاش (2) أيضا اسمه خضرون. قاله الكلبي ومحمد بن إسحاق وعوانة بن الحكم والهيثم بن عدي وغيرهم. وقيل اسمه يليا بن ملكان وقيل الخضر بن

---

(١) سقط من ب.

(*) هذا العنوان من المحقق.

(1) مقاتل بن سليمان، اصله من بلخ، وحدث ببغداد، كان متروك الحديث، توفي في منتصف القرن الثاني للهجرة.

(2) عالم بالتفسير، نشأ ببغداد، قال عنه الذهبي «وهو عندي متهم عفا الله عنه» توفي في منتصف القرن الرابع الهجري.

فرعون موسى. وقال وهب بن منبه اسمه إيلياء. وقال وهب اسم الخضر أورميا بن جلقيا من سبط هرون بن عمران. وقال الطبري وقول من قال إن الخضر كان زمان أفريدون أشبه من أنه كان في زمن موسى لأن الخضر كان هو الذي طلبه موسى. وقيل إن الخضر كان أيام أفريدون (3) الملك. وقيل كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان [أيام] (٢) إبراهيم وبلغ مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب وهو لا يعلم. وقيل هو بعض من كان مع إبراهيم. وقال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد فارس، وإلياس من بني إسرائيل يلتقيان في كل عام بالموسم. وقيل كان على بني إسرائيل ناشئة بن موصر فبعث الله إليهم الخضر. وقيل هو يليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. وقيل هو ابن عاميل بن سمالحين (٣) ابن أريا بن علقمة بن عيصو بن إسحاق وأن أباه كان ملكا وأن أمه كانت بنت فارس واسمها ألهى وأنها ولدته في مغارة وأنه وجد هنالك [و] (٤) شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، وأخذه الرجل ورباه فلما شب وطلب الملك أبوه كاتبا (٥)، وطلب أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث، كان فيمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث على جلية أمره عرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس. ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها، إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها. فهو حي إلى أن يخرج الدجال، وأنه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله. وقال ابن لهيعة (4) الخضر أمه رومية وأبوه فارسي.

قال المظفري وهذه الأخبار تنبئ أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه. قال الطبري ويدل على خطأ من قال [إن أرميا] (٦) كان في أيام بخت نصر.

---

(٢) ب في زمن. (٥) ب كاتب.

(٣) ب سمايحن. (٦) سقط من ا.

(٤) ب سقط من ب.

(3) أفريدون بن أثفيان بن جم، ذكره المسعودي في ملوك الفرس (مروج الذهب، فقرة 538 من طبعة شارل بيلا).

(4) عبد الله، قاضي مصر ومحدثها في عصره (97- 174هـ).

فصــل

وأما تسميته أو تلقينه بالخضر فثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. أنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء (5). والفروة الأرض المرتفعة.

وذكر النقاش عن مجاهد أنه إنما سمي خضرا لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. وقال الخطابي إذا جلس في مكان خضر ما حوله. والعرب تسمي الشيء المشرق خضرا تشبيها بالنبات الأخضر.

فصــل

وأما ما ذكرنا من حياة الخضر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أو بعده، سئل محمد بن إسماعيل البخاري عن الخضر وإلياس أهما في الأحياء أو هما واحد أو إثنان ؟ فقال كيف يكونان في الأحياء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ترون ليلتكم هذه ؟ قالوا نعم ! قال لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد (6). وقال به طائفة من أهل الحديث منهم القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي.

قال المؤلف رضي الله عنه هذا إنما يكون له لزوم على القول بالعموم، فإن لم نقل به انكسر عنا، وإن قلنا به خصصناه بما أوردناه، فكيف وصوب (٧) الحديث العظة بقصر الأعمار والتحذير من الاغترار والركون إلى هذه الدار، والإنذار بوشيك النقلة إلى دار القرار و الحض على حسن نظر المرء لنفسه بجميل الرأي (٨) وسديد الإئتمار ! وإذا تبين جري هذا القول في هذا المضمار لم يكن صوبه إلا الإخبار عن موت من بقي من القرون الخالية والأعصار (٩)، وقد بين ذلك الراوي بقوله إنما يعني بذلك انخرام ذلك القرن(١٠) والله أعلم.

---

(٧) ب صواب.
(٨) الرؤيا.
(٩) ب الأعمار.
(١٠) ب القرون.
(5) البخاري، كتاب الأنبياء، باب 27.
(6) البخاري، كتاب العلم، حديث 41.

وقال الحسن (7) ومن وافقه إنه مات. واحتجوا بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد (8).

قال المؤلف رضي الله عنه لعل هذا لا يصح عن الحسن، فإن المرء قد يقول بموجبه ولا يلزم منه موت الخضر ولا غيره لقصر عمر أو طوله، إنما يلزم منه أن الخلد ليس لأحد من قبله فيطمع فيه من كان في ذلك القرن من أهله أو من غير أهله، وتعريف أن مصير حياة كل حي ممن كان قبله إلى انقطاع بالقدر المحتوم المطاع، وأن البقاء الأبدي والخلود السرمدي ليس لسكان هذه الدار فيه اطماع. ثم قال، وعله النقاش وقول النبي صلى الله عليه وسلم لو كان أدركني موسى وعيسى ما وسعهما إلا اتباعي. قال فلو كان حيا لجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رضي الله عنه وهذا كذلك. لأنا إذا قلنا بحياته حكمنا باتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم كان نبيا أو وليا. وقد أوردنا هنا ما يدل على مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم قال النقاش وقال وهب بن منبه كان الخضر ينزل أرمينية. ولو كان كذلك لم يكن نبينا (١١) خاتم الأنبياء وآخرهم، ولجاز أن يكون في زماننا أنبياء. قالوا وهذا يوجب تكذيب القرآن، ولو كان ذلك لوجب أن يعرف كما يعرف الناس بعضهم بعضا.

قال المؤلف رضي الله عنه قوله قال وهب بن منبه كان الخضر ينزل أرمينية، ولو كان هذا لم يكن نبينا (١٢) خاتم الأنبياء وآخرهم، قال المؤلف رضي الله عنه أهو من قول النقاش أو من قول وهب وأيهما قوله، فهو عجب ! وإن كان الظاهر أنه من قول النقاش لأن ظاهره أن نزوله بأرمينية يخرج نبينا عن أن يكون خاتم الأنبياء، فلعل ذلك لاعتقاده أن أرمينية حديثة العهد إسلامية الخطة، وليس الأمر كذلك. فإذا لم يكن كذلك فليس لذكر أرمينية معنى يخصها. وقوله ولجاز أن يكون في زماننا أنبياء، فالجواب عن هذا، وهو حرف المسألة عندهم، والله أعلم، أن محمدا خاتم الأنبياء. وتفسير

---

(١١) ب : نبيا.

(١٢) ب : نبينا.

(7) الحسن البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، جمع بين العلم والورع، توفي عام 110هـ.

(8) الأبياء / 34.

ذلك في قوله وختم بي النبيئون، أي أنا آخر من نبئ وخاتم المرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول. فإن تراخي بنبي العمر وتمادت به الحياة فلا فرق بينه وبين من مات إلا في وجوب الاتباع لدينه، والعمل بشريعته إذ ملته آخر الملل وهو خاتم الرسل نسخت بشريعته كل شريعة، فلا يجوز أن يكون في زمن بعثه ولا بعده أنبياء أو مرسلون إلى الناس وشريعتهم غير منسوخة، وأما بقاؤهم منسوخة شرائعهم متبعون (١٣) له وإن كان لهم مقام النبوة ودرجة الرسالة فجائز، وقوله وتكذيب للقرآن، إنما كان يكون بإرسالهم بعد إرساله أو ببقاء شريعتهم بعد شريعته، وقوله لوجب أن يعرف [كما يعرف] (١٤) الناس بعضهم بعضا. قال المؤلف رضي الله عنه فمن أراد الله حجابه عن الناس لم يره الناس، وإن كان قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، كالجن. وبالجملة فكل جواب لهم عن عيسى ونزوله في آخر الزمان فهو جوابنا. والله أعلم.

وروى ابن الكواء وأبو (١٥) الطفيل عن علي رضي الله عنه أن الخضر كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا، ولو كان الخضر حيا لجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يسلم عليه ويؤمن به.

قال المؤلف رضي الله عنه قوله ولو كان الخضر حيا لجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يسلم عليه ويومن به، قال المؤلف رضي الله عنه أراه من قول النقاش. والجواب أنه قد جاء في حياته وعند وفاته، ولا يلزم في صحة إيمانه أنه يجيء إليه إلا المهاجر. والله أعلم.

قال المؤلف رضي الله عنه وزعم أصحاب الأخبار والآثار، منهم سفيان الثوري (9) وابن المبارك (10) وغيرهما (١٦) أنه حي وأنه يحج كل سنة ويجتمع هو وإلياس. وفي كتاب *التمهيد* لأبي عمر بن عبد البر (11)، حامل

---

(١٣) كذا في النسختين

(١٤) سقط من من ا

(١٥) ب وابن

(١٦) ا وغيره.

(9) أبو عبد الله الكوفي، جمع بين الحديث والزهد، توفي بالبصرة سنة 161هـ.

(10) عبد الله، أبو عبد الرحمان، جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس، توفي عام 181هـ.

(11) الحافظ المشهور، توفي بشاطبة عام 463.

لواء الحديث في وقته في أفقه، رحمه الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غُسل وكُفن سمعوا (١٧) قائلا يقول السلام عليكم ياأهل البيت ! إن في الله عوضا من كل هالك، وخلفا من كل تالف، وعزاء من كل مصيبة، فعليكم بالصبر، فاصبروا واحتسبوا ! ثم دعا لهم، ولا يرون شخصه، فكانوا يرون أنه الخضر، يعني أصحاب محمد عليه السلام وأهل بيته (12).

وذكر أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب *الهواتف* بسند يرفعه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لقيه الخضر وعلمه هذا الدعاء الذي ذكر فيه ثوابا عظيما ورحمة ومغفرة لمن قاله في إثر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ! ويا من لا تغلطه المسائل ! ويا من لا يتبرم على إلحاح الملحين! أنقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك.

وذكر أيضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الدعاء بعينه نحوا مما ذكر عن علي في سماعه من الخضر.

وذكر أيضا اجتماع إلياس مع النبي صلى الله عليه وسلم. وقال عبد الله بن المبارك أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء واثنان في الأرض، عيسى وإدريس في السماء، وإلياس والخضر في الأرض. وقال الخليل الخضر نبي معمر محجوب عن الأبصار. وقال النقاش يقال إن الخضر له كتاب يقرؤه علماء اليهود. وخرّج النقاش أيضا قال حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عام إلا والخضر وإلياس، وهما ابنا خالتين، يلتقيان في كل موسم بمكة، كان لهما آخر ما يفترقان عليه أن يقولا ما شاء الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلا الله، ما شاء الله، ما شاء الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما شاء الله، ما شاء الله، كل نعمة من الله، ما شاء الله، ما شاء الله، ما شاء الله، توكلنا على الله، وحسبنا الله، ونعم الوكيل.

وعن ابن عباس، موقوفا عليه مسندا إليه، نحو مما تقدم، إلا أنه قال بسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء

---

(١٧) ب سمع.

(12) *التمهيد* (2 : 162) وفي عبارته بعض الاختلاف عما هنا.

إلا الله، ما شاء الله، ما يكون من نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، من قالها، إذا أصبح، أمن الغرق والحرق والسرق حتى يمسي.

وعن الشعبي يلتقي الخضر وإلياس كل عام، فيأخذ هذا من شعر هذا، وهذا من شعر هذا، طعامهما الكرفس والكمأة. وقال عون بن عمارة أحسبه قال فيشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل. وقيل إن الخضر في البحور، فمن ضل فيها فأراد الله أن يهديه هداه به، وإلياس في البر فمن ضل وأراد الله أن يهديه هداه به.

حدثنا عبد الملك بن سليمان قال حدثنا يعقوب قال حدثنا محمد بن وهب قال حدثنا أبي قال حدثنا أبو الربيع قال حدثني ابن أبي داود النخعي عن أبي حازم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخي الخضر ليقضي أول النهار ثلاث ساعات من النهار بين أمم البحر، ويشهد الصلوات كلها في المسجد الحرام، ويتهجد بالسحر على سدّ ياجوج وماجوج. قال وحدثنا أحمد بن النصر بن بحر قال حدثنا محمد بن سلام المنبجي (١٨) قال حدثنا وضاح بن عباد عن عاصم بن سليمان الأحول قال حدثني أنس بن ملك قال خرجت ليلة من الليالي، وذكر الحديث حديث الخضر.

ووجه أبو بكر المطوعي إلى إبراهيم الحربي بلغني أنك قلت إن الخضر قد مات. فقال إبراهيم الحربي اقرؤوا عليه مني السلام، وقولوا له أنا الرجل أحفظ كل شيء فأذكر صواب الباب وخطأه، وما روي فيه فلا يحفظ كله عني، فربما ذكر عني الخطأ، وأنا أقول لهم كما يقع في الحكايات عني من حيات وعقارب وأشياء منكرة لا تحفظ كما أقولها، سئلت عن الخضر فقلت حدثنا عبد الله بن الرومي القاضي قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما سمي الخضر لأنه إذا جلس على فروة اخضرت. وذكرت بعد ذلك أن الخضر وإلياس يلتقيان في كل عام، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى الخضر متعلقا بأستار الكعبة يدعو، وأن عمر بن عبد العزيز رأى الخضر، ثم قلت قال أبو سعيد الحداد الخضر آدمي، وقد مات، ولو كان حيا لوجب عليه أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويعمل بشريعته. فقلت أنا قد روى [أبو](١٩)

---

(١٨) ب المنحي.

(١٩) سقط من ب.

أويس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده. قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا قائلا يقول... القصة. قال إبراهيم [فعلي رضي الله عنه يقول] (٢٠) إن الخضر حي، وأقول أنا قد مات. إنما أنكرت على أبي سعيد قوله، وحكيته على التعجب.

وقال النقاش حدثنا أبو سعيد الهروي قال حدثنا شيخ لنا قال حدثنا عبد الله بن الوليد المدني عن محمد بن جميل الهروي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محيريز قال حدثنا عبد الله عن يزيد بن الأصم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال كنت أطوف بالكعبة فإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ! يا من لا تغلطه المسائل ! يا من لا يبرمه (٢١) إلحاح الملحين ! أذقني من برد عفوك، وحلاوة رحمتك. قال قلت أعد الدعاء رحمك الله، فقال أو سمعت يا علي ؟ والذي نفس الخضر بيده ما من مسلم يدعو بهذه الدعوات في دبر كل صلاة إلا غفرت ذنوبه، ولو كانت مثل عدد نجوم السماء أو مثل رمل عالج.

وقال النقاش حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا ملك بن إسماعيل قال: حدثنا يزيد بن خالد مؤذن بن سلمة قال نا أبو داود نفيع بن الحارث قال نا أنس بن مالك قال كنت مع رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم [ذات ليلة أحمل طهوره، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم] (٢٢) ربما يخرج لحاجته من ليل إلى ليل، إذ سمعت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة حسنة وصوتا حسنا وهو يقول اللهم تنجني (٢٣) مما خوفتني منه. قال فقال نبي الله صه ! تالله ما رأيت. أو قال لو قال معها التي تليها. [قال] (٢٤) فوفق الله الداعي لما كان في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال اللهم ! قال فقال جمعها، أوجبتا له ورب الكعبة. يا أنس ! ضع الطهور وايت هذا الداعي، فقل له ادع للنبي أن يعينه الله على ما بعثه له وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم عنه بالحق. قال فقال من أرسلك إلي ؟ قلت لا يؤسى (٢٥) عليك، ادع أنت للنبي وأمته بهذا الدعاء وادع له !

---

(٢٠) ب فعلى هذا يقول.
(٢١) ب لا يتبرم عن.
(٢٢) سقط من ا
(٢٣) ا ما تنجني.
(٢٤) سقط من ب.
(٢٥) بؤس.

قال لا أدعو له حتى تخبرني من أرسلك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قال لي قل له أرسلني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فأتيته فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم] (٢٦). قال مرحبا برسول الله وبرسوله، إنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له إن الخضر يقرئك السلام، وقل له أبشر فإن الله قد فضلك على أنبيائه كما فضل رمضان على الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل الجمعة على الأيام، قال فلما أدبرت [و] (٢٧) توليت إذا هو يدعو ويقول اللهم اجعلني من هذه الأمة المرشدة المرحومة المتوب عليها.

قال المؤلف رضي الله عنه الذي تقتضيه الأحاديث والآثار، وقد زاحمنا بما أتينا به الإكثار، أنه من عهد آدم إلى خروج الدجال في الأحياء، وأنه إن لم يكن من صفوة الأنبياء فهو من علية الأولياء ونخبة الأصفياء. وقد ذكرنا في كرامات الصحابة الأكرمين عن علي وأم سلمة بإسناد مع ما في حديث أم سلمة من إقرار (٢٨) ذلك من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ما تقر به عين الناظرين. ونختم ذلك بما حدثنا به الشيخان الفقيهان المحدثان المتكلم صاحب الأحكام بمالقة أبو الحسن صالح بن عبد الملك الأوسي (13)، والخطيب الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد السلمي(14) قالا حدثنا الفقيه المحدث الحافظ أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمي (15) قال قرئ على القاضي الإمام أبي علي حسين بن محمد الصدفي رضي الله عنه غير مرة وأنا أسمع عن الفقيه القاضي الجليل أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي عن الفقيه الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد

(٢٦) سقط من ا.

(٢٧) أو.

(٢٨) ا اقدار.

(13) قال عنه ابن عبد الملك « كان متفننا في معارف، مقرئا، مجودا ورعا زاهدا فاضلا مشاركا في الأصول، ولم يكن بالضابط»، مولده سنة 500 هـ ووفاته سنة 568 هـ - الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص. 134.

(14) غرناطي، توفي سنة 623 هـ. انقطع الى صحبة الصالحين كثيرا، الذيل والتكملة (6 : 78).

(15) يعرف بابن الدباغ قال عنه ابن بشكوال «من أهل العناية الكاملة بتقييد العلم» توفي سنة 536 هـ. الصلة، ص 682.

الهروي قال حدثنا إمام صناعة الحديث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني قال حدثنا محمد بن الفتح القلانسي، قال حدثنا العباس بن عبد الله الترقفي (٢٩) قال حدثنا وراد بن الجراح قال حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر بن آدم لصلبه ونسيء له في أجله حتى يكذب الدجال. وهذا وإن كان على ابن عباس موقوفا، وعن الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم مصروفا فقد وقع اليأس أن مثل هذا لا يقال بالرأي ولا يدرك بالقياس، فله حكم المسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم المرفوع، إثباته فيما يحق العمل (٣٠) عنده والإعتقاد لموجبه غير مرفوع، وقد نص على أنه الرجل المكذب للدجال من يعتمد على مقاله في النقل من سروات (٣١) الرجال، فذكره معمر بن راشد (16) في *جامعه*، وعبد الرزاق بن همام في *مصنفه*، والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان صاحب مسلم بن الحجاج في حديثه، وإلى ذلك كان يذهب الفقيه أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي، والفقيه المحدث الفاضل أبو الحسن علي بن خلف القابسي، والشيخان الفقيهان المحدثان أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز الحافظ عرف بابن الدبّاغ (٣٢) والشيخ الراوية أبو القاسم خلف بن عبد الملك عرف بابن بشكوال. وتواترت بذلك الحكايات عن فقهاء المسلمين، ونخبة الصلحاء المتعبدين، ومشايخ الصوفية الأقدمين، والحمد لله رب العالمين.

فصل

اختلف علماؤنا رضي الله عنهم هل الخضر نبي أم لا ؟ مع اتفاق من لم يقل بنبوته على ولايته، فقال بعضهم الخضر أحد أنبياء الله سبحانه الذين بعثوا بعد موسى من بني إسرائيل، وقالوا هذا العبد الذي أوحى الله إلى موسى أنه أعلم منه لا يجوز إلا أن يكون نبيا من أنبياء الله ورسله، لأن الأنبياء لا يتعلمون إلا من ملك من الملائكة ورسول من الرسل، إذ لا يجوز مثل هذا العلم أن يكون إلا بوحي من الله.

---

(٢٩) ب الترفي.
(٣٠) ب الأعمال.
(٣١) إسروات.
(٣٢) ب الرفاع، والصحيح الدباغ
(16) معمر بن راشد الأزدي البصري، فقيه حافظ للحديث، ولد بالبصرة، توفي عام 153هـ.

قالوا وليس في الذي علمه العالم الذي قصده فلقنه مما ذهب على موسى ما يدل على أنه أفضل منه وأعلم، لأنه قد يكون الرجل أعلم من صاحبه بأنواع كثيرة ويكون صاحبه يعلم أشياء لا يعلمها هو.

وقال العالم أبو عبد الله المازري(17): اضطرب العلماء في الخضر هل هو نبي أم لا ؟ واحتج من قال بنبوته بقوله وما فعلته عن أمري (18). فدل ذلك على أن الله سبحانه يوحي إليه بالأمور. وهذه النبوة. وانفصل عنه من قال إنه ليس بنبي باحتمال أن يكون الخضر تلقى ذلك عن نبي غيره أمره بذلك عن الله تعالى. وقصارى ما في الآية أن ما فعل، ما فعله عن أمره. وإذا كان المراد عن أمر الله، فمن المبلغ ؟ ليس في الآية تعيين (٣٣). وقد يحتج لنبوته بكونه أعلم من موسى [ويبعد أن يكون الولي أعلم من النبي، ومهد هذا بعضهم فقال موسى] (٣٤) أعلم بما تقتضيه وظائف الشريعة وأمور النبوة وسياسة الأمة، والخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمها إلا بإعلام الله من أمور غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما، وكأن موسى أعلم على الجملة والعموم بما تقدم مما لا يمكن جهل الأنبياء لشيء منه، والخضر أعلم على الخصوص بما أعلم من مخبآت الغيب وحوادث (٣٥) القدر وقصص الناس، مما لا يعلم منه الأنبياء إلا ما أعلموا به مما استأثر الله بعلم غيبه وما قدره وسبق في علمه كان ويكون في خلقه، قال ولذلك قال الخضر أنت على علم من علم الله، أو علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه. ألا ترى كيف لم يعرف أنه موسى بني إسرائيل حتى عرفه بنفسه ؟ إذ لم يعرفه الله تعالى به. وهذا قول نبينا صلى الله عليه وسلم إني لا أعلم إلا ما علمني ربي. وقال تعالى وعلمناه من لدنا علما (19)، وقيل عتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه كما ردته (٣٦) الملائكة فقالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا (20).

---

(٣٣) ب تغيير
(٣٤) سقط من ا.
(٣٥) ب : حداثة.
(٣٦) ا : ردته.

(17) نسبة الى مازر بجزيرة صقيلية، من كبار أئمة المالكية في عصره توفي بالمهدية سنة 536 هـ
(18) الكهف / 82.
(19) الكهف / 65.
(20) البقرة / 32.

ولئلا يقتدي به غيره (٣٧) في تزكية نفسه والعجب بحاله فيهلك. وقيل كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله، والخضر أعلم فيما دفع إليه موسى. وقيل إنما ألجئ موسى إلى الخضر للتأديب لا للتعليم. وفي ذلك من قولهما جواز إخبار الرجل عن نفسه بالعلم والفضل إذا احتاج إلى ذلك لمعنى ديني أو لمصلحة تليق به، لا ليقصد به الفخر والكبر، كما قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم ولا فخر. وكما قال إني أتقاكم لله وأعلمكم بحدوده. وفي اللفظ الآخر وأعلمكم بما أتقي. وفي لفظ آخر وأشدكم له خشية.

قال المؤلف رضي الله عنه أجمعت الأمة على أن موسى أفضل من كثير من أنبياء الله، ويشهد لذلك قوله تعالى يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي (21). فبكليهما اصطفاه على الناس. فعلى الأنبياء بالرسالة، وعلى معظم الرسل بالتكليم. فإن كان الخضر نبيا مرسلا فقد فضل عليه بالتكليم، وإن كان نبيا، فبهما. وإن كان وليا فقد أجمعت الأمة على أن الأنبياء أفضل من الأولياء، والإخبار واحد صحيح يدل على نبوته، فكيف بمتواتر، ولا آية ولا إجماع، فيخرج من هذه المقدمات على القطع أن موسى أفضل منه، كان نبيا أو وليا فإن قيل كيف يكون أفضل منه وقد قيل بلى عبدنا خضر هو أعلم منك. والعلم ينبوع الفضائل، وعنصر الشرف من المكارم، وسلم المنازل العالية، ومرقى الدرجات السامية، وشرف العلم وأهله، وأن جميع الفضائل من فضله أمر مشهور لا عذر في جهله ؟ ولذلك رغب موسى عليه السلام في لقيه (٣٨) ليزداد منه علما، وأن ظاهر القرآن لا يشهد بأن الخضر أعلم منه، وإن أشار إليه قول موسى عليه السلام هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا (22). وقول الخضر(٣٩) وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبْرا ؟ (23) فإذا لم يكن ولي (٤٠) أعلم من نبي، ولا يستقيم أن يكون نبيا لما تقدم، إذ يؤدي إلى أن يكون أفضل من موسى عليهما السلام، فكيف يكون معنى هذا ؟ فالجواب أن نقول قوله

---

(٣٧) ا غير.
(٣٨) ب لقياه.
(٣٩) ا خضر
(٤٠) ب وليا

(21) الأعراف / 44
(22) الكهف / 66.
(23) الكهف / 68.

بلى عبدنا خضر هو أعلم منك، ليس في كل الأحاديث، بل فيها بلى عبدنا خضر، فقط. وفي لفظ آخر عبد لنا بمجمع البحرين. وفي لفظ آخر إن عبدا بمجمع البحرين. فإذا لم يثبت قوله هو أعلم منك. كان محتملا أن يكون مثله في العلم أو أعلم منه، على أن هذا مسلك ليس عليه تعويل، لضعفه في باب التأويل(٤١). والمرضي لدينا الممنون بفهمه علينا أن ما لم يذكر فيه هو أعلم منك، محمول على ذكر فيه، وأن قوله هو أعلم منك، يعني بذلك النوع من العلم، وهو علم الكائنات والإطلاع على العواقب المغيبات، يحتمل أن يكون على الإطلاق ويحتمل أن يكون على التقييد بذلك الوفاق. والظاهر الخصوص بما شهد له من عدم تعيين موسى وتمييزه، إلى غير ذلك، ومن قوله وأنت على علم من علم الله لا أعلمه، وكما قال الله تعالى لمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما (24). اضطررنا إلى أنه ولي ذو مقامات، علي ذو مكاشفات وكرامات، فكأنه أدب بالإحتياج لمن دونه، وهو في حقه غاية الأدب. وخلقت تلك القصص الثلاث، وكوشف الخضر بها، وندب إلى التشديد عليه في التعليم، فانتدب وكأنه اطلع على المراد فوفق (٤٢) في التشديد في الإيراد، وإذا خشن جانب السيد للعبد فمن يلين ؟ وإذا أعرض عنه فمن يقبل على المسكين ؟ وفي هذا موعظة للعالمين، ومزجرة للعالمين، لا جرم أطلع ذلك من موسى على فضيلتين إحداهما شدة حرصه على العلم وغرامه بأهله وتواضعه لمن يتعلم منه فقال يا رب كيف لي به ؟ الثانية جريه على حكم الموافقة من إتعاب نفسه في طلب رضي ربه وسعيه بجهده في تبديل (٤٣) الرضى من عتبه، وإذا هانت النفس (٤٤) على مولاها، فمن الذي يكرمها ويتولاها ؟ فقال لسان الحال

وأهنْتَني فأهَنْتُ نفسِي صاغِراً   ما مَنْ يَهُونُ عليكَ ممن أكرمُ (٤٥)

---

(٤١) ب التطويل.
(٤٢) ا فوافق.
(٤٣) ا : تبدل.
(٤٤) ب النفوس.
(٤٥) كذا في النسختين، وفي *محاسن المجالس* لابن العريف يُكْرَمُ.

(24) طه / 114

فصل

ذكر إلياس *

وأما ما ذكر من حياة إلياس* عليه السلام، وإن كان ذكره أقل من ذكر الخضر في آثار السلف وحكايات الناس، وقد تقدم من ذكره مقرونا مع الخضر ما يحسب ويكفي. وها نحن نورد ما عسى أن يستقل بري المتعطش إليه ويفي.

ذكر المؤرخون أنه إلياس بن مسين (٤٦) بن فيحاص بن العيزار (٤٧) بن هرون بن عمران. وقال عبد الله بن مسعود فيما روي عنه إنه إدريس.أورد ذلك الطبري وغيره بأن إدريس جد نوح، تظاهرت بذلك الروايات. قالوا وكانت الأنبياء بعد موسى يبعثون بتجديد التوراة (٤٨).

ذكر ابن أبي الدنيا من طريق مكحول عن أنس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بفج الناقة عند الحجر، إذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها ! فقال رسول الله صلى الله عليه

(*) هذا العنوان من المحقق.
(٤٦) ب : مسير.
(٤٧) ب : العزار.
(٤٨) ا : الدنيا.

وسلم يا أنس ! انظر ما هذا الصوت ؟ فدخلت الجبل، فإذا أنا برجل أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلاث مائة دراع، فلما نظر إلي قال أأنت رسول النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قلت نعم ! قال ارجع إليه، فاقرئه مني السلام، وقل له هذا أخوك إلياس يريد لقاءك. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا معه، حتى إذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت، فتحدثا طويلا، فتدلى عليهما شيء من السماء يشبه السفرة، فدعاني فأكلت معهما، فإذا فيها كمأة ورمان وكرفس، فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي به قبل الشام. فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا، أمن السماء نزل عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال يأتيني به جبريل في كل أربعين يوما أكلة، وفي كل حول شربة من ماء زمزم، ربما رأيته على الجب يملأ بالدلو فيشرب، وربما سقاني.

قال النقاش وحدثنا زيد بن المهدي قال حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني (٤٩) قال حدثنا علي عن عاصم قال حدثنا داود بن يحيى العامري عن زيد عن رجل ممن كان في مرابض (٥٠) الشام أنه قال بينما هو يمشي في ناحية الأردن إذا هو بشيخ قائم يصلي أبيض الرأس واللحية، وإذا سحابة فوق رأسه تظله، قال فلما رأيته حدثتني نفسي أنه إلياس عليه السلام، فلما دنوت منه قلت يا عبد الله ! من أنت ؟ فسكت عني فلم يرد علي شيئا، ثلاث مرات، ثم قال إنه إلياس. فلما قال إنه (٥١) إلياس، أخذتني رعدة شديدة حتى خشيت أن يذهب عقلي، فقلت ادع الله أن يذهب عني ما أجده من الرعب حتى أفهم حديثك ! فوضع يده على صدري، فوجدت برد كفه في ظهري، ثم دعالي بدعوات فقال يا رحمان يا رحيم، يا حي يا قيوم، يا حنان يا منان، ودعوتين أخراوين (٥٢) بالسريانية لم أفهمهما (٥٣). قلت رحمك الله، إلى من بعثت ؟ قال إلى بعلبك. فقلت هل يوحى إليك اليوم ؟ فقال مذ

---

(٤٩) ا الصالقاني.
(٥٠) ب : مرابط.
(٥١) ب : أنا.
(٥٢) ا أخي اوين.
(٥٣) ا لم أفهمها.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلا ! قلت فكم من نبي اليوم حي؟ قال أربعة، أنا والخضر في الأرض وإدريس وعيسى في السماء صلى الله عليهم(٥٤) وسلم. قلت فأين يكون الخضر؟ قال يكون في جزائر البحر. قلت فهل تلتقيان ؟ قال نعم، في كل موسم بعرفات. قلت فما حديثكما ؟ قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره. قال قلت ما تقول في الأبدال ؟ قال هم ستون رجلا، خمسون منهم ما بين عريش مصر الى شط الفرات، ومنهم رجل بأنطاكية، ورجلان بالمصيصة وسبعة في سائر أقطار العرب، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا آخر، بهم يقيم الله الأمر، فإذا أراد الله أن يهلك الناس أماتهم جميعا ثم تقوم القيامة. قال وكان ذلك في زمن مروان وقتاله أهل الشام. قال قلت فما تقول في مروان وقتاله أهل الشام ؟ قال ولم تسأل عنه ؟ قال جبارعات عال(٥٥) على الله، والقاتل والشاهد في النار. قلت والله [لقد شهدت. قال](٥٦) فأعرض عني بوجهه، فقلت والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا ضربت بعصا، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فأقبل إلي بوجهه وقال هكذا فاصنع ولا تعد قلت أريد أن أصحبك. قال لا تستطيع أن تصحبني. قلت فأين أراك ؟ قال إذا رأيتك رأيتني. قلت فأين أراك على ذلك ؟ قال تراني في بيت المقدس معتكفا في شهر رمضان. قلت رحمك الله، فاذن لي في صحبتك فإني خلو ليس لي ولد ولا والد ولا زوجة. فأمرني بالتزوج وحضني عليه وقال تجنب(٥٧) من النساء أربعا لا تتزوج من النساء مختلعة ولا ملاعنة ولا باذية ولا ناشزا، وتزوج من النساء بعد ذلك ما بدا لك، ثم قال إني [لا أدع](٥٨) الغزو بعد أن تبلغ السارية(٥٩) ثلاثمائة من المسلمين إلا خرجت معهم. قال فبينما أنا عنده إذ أتينا برغيفين أشد بياضا من الثلج لم أر من وضعهما، فأكل وأكلت معه، فأكلنا رغيفا ونصفا من الآخر، ثم رفع لم أر من رفعه، وإذا دابة ترعى في الوادي، فرفع رأسه فنظر إليها فأقبلت الدابة فبركت بين يديه كما يبرك البعير فاستوى عليها

---

(٥٤) ا عليه.
(٥٥) ب غائل.
(٥٦) سقط من ا.
(٥٧) ب اجتنب.
(٥٨) ب لأدع.
(٥٩) ا السرية.

فأخذت بركابه فقامت فسار ومشيت معه فقلت رحمك الله إيذن لي في صحبتك ! قال ألم أقل إنك لن تستطيع أن تصحبني ؟ فبينما [أنا] (٦٠) أمشي معه [إذ] (٦١) عرضت لنا شجرة في الطريق ففرقت بيني وبينه فخفي علي فلم أره.

قال المؤرخون كان إلياس مع ملك اسمه أحاب (٦٢) يقيم أمره وسائر بني إسرائيل يعبدون صنما اسمه بعل، وقيل كان بعل (٦٣) امرأة يعبدونها، فقال أحاب (٦٢) لإلياس ما أرى أمرك إلا باطلا، ما أرى من يعبد الأوثان إلا مثلنا لا فضل لنا عليهم. فاسترجع إلياس، ثم رفض الملك إلياس وعبد الأوثان. فقال إلياس اللهم غيرهم ! فأوحى الله إليه قد جعلت أرزاقهم إليك. فقال أمسك عنهم المطر. فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر، وكان إلياس لما دعا استخفى، فكان يوضع له رزقه حيثما كان، وأوى ليلة إلى امرأة ابنها اليسع، فكتمت أمره، وكان به ضر فدعا لابنها فعوفي فاتبع إلياس (٦٤) وأوحى الله إليه أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص ! فجاء إلى بني إسرائيل فقال قد هلكتم جهدا، فاخرجوا بأصنامكم، فإن استجيب لكم فهو كما تقولون، وإن لم يفعل عرفتم باطلكم ودعوت الله ففرج عنكم. قالوا أنصفت (٦٥) والله، فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم يستجب لهم، فعرفوا ضلالهم فدعا إلياس، فنزل المطر وأغاثهم الله فلم ينزعوا ولم يرجعوا، فدعا إلياس ربه أن يقبضه، فقيل له اخرج ! فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج معه اليسع، فأقبل فرس من نار فوثب عليه فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار في(٦٦) الملائكة وكان إنسيا ملكيا أرضيا سمائيا، وكان إلياس من أهل بعلبك.

---

(٦٠) سقط من ا.

(٦١) سقط من ا.

(٦٢) ب أجاب، كذا في النسختين، والمعروف من ملوك بني اسرائيل أحاز أو أخاز الجبار الذي حكم من 740 إلى 724 ق.م.

(٦٣) ا بعلا.

(٦٤) ا الناس.

(٦٥) ا نصفت.

(٦٦) ب في.

فصــل

ذكـر اليســع

وأما اليسع فهو نبي قام بعد إلياس، فأيد بمثل روح إلياس، ثم قبضه الله. وعندهم التابوت فيه السكينة. قال وهب وهي رأس هرة ميتة إذا صرخت بصراخ هر نصروا. وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من الياء (25)، فكان أحدهم يجمع التراب على الصخرة، وينبذ فيه الحب، فيأخذ منه قوته، ويعصر من الزيتونة، فلما تركوا عهد الله، نزل بهم عدوهم، فأخرج التابوت، فسبي منهم، فمات ملكهم كمدا، فوطئهم عدوهم، وأصيب من أبنائهم ونسائهم. وقيل كانت السكينة عصا موسى وعمامة هارون الصفراء ورضاضة الألواح. وكانت من در وياقوت وزبرجد. والله أعلم.

قال المؤلف رضي الله عنه انتهى ما أنتجته الروية، وسمحت به البديهة، وجمعه الذكر، واتسعت له الرواية من نكت المعقول، وأفادته المذاكرة من فن الكلام وفن الأصول وفوائد المنقول، من معاني الكتاب وسنن الرسول، مما يشرح الصدر لإثبات (٦٧) الكرامات بحق الإسناد، ويقطع العذر عنا فيها ويوجب الملامة على العناد، من دلائل العقول الواضحة، وشواهد الشرع المنقول المشرقة اللائحة، توسطا بين الإختصار المخل والإكثار الممل، وتجنبا لغامض المدق وتخيرا لواضح المجل، تحسينا للإيراد، وتحصينا لفوائد. (٦٨)

---

(٦٧) ب لثبات.   (٦٨) ا لوائد.

(25) إيلياء أو أيلياء بيت المقدس.

المراد، نشرنا به من كرامات الصحابة الأكرمين ما قصرت عنه كبار الدواوين وضخام المصنفات، وحشرنا للشيخ الصالح أبي يعزى الذي بني عليه هذا المغزى ما يربي على مائة وخمسين من الكرامات. ثم أعقبتها بتكميل في معنى الولاية والولي حسن جميل، بين الظاهر والباطن تشتمل عليه نفوس الكافة وتميل، ثم عززناها بمقال رائق نضر في شأن الخضر، في اسمه ونسبه وحياته وموته ونبوته أو ولايته ومولده وزمانه، كشفنا عنه قناعا، ورفعنا في أمره لمن أنصف نزاعا، [بجميع آراء نوي] (٦٩) البصائر وإن كانوا أوزاعا ولاقتران ذكره بذكر إلياس في الأخبار، وما يذكر من استمرار حياتهما إلى هذه الأعصار، أتينا بنبذة من قصته على حكم الإختصار. ولما قيل في كليهما إنه اليسع، ألمعنا في أمره بما (٧٠) يسع، فتحقق بهذا المجموع على الإختصار، ما لم تشتمل عليه المصنفات [الكبار] (٧١) ولم يتحقق في سالف الأعصار، فوقع لاحقا بحكم الوجود، وجاء سابقا بالسراوة (٧٢) والجود، كأنه غرة في وجه الزمان، أودرة حلي بها جيد العرفان.

هذا ومعتقدنا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنما هذا بحوله وقوته وفضله ورحمته وهو الذي يظهر وليه، ويقهر عدوه، ثم ببركة هذا الولي الكريم الرعاية، القديم العناية، الواصل خبره إلينا بالسراية، حتى في المعارف والدراية. وحق هذا أن يضاف إلى ما ظهر من كراماته بعد وفاته حسبما انتهى إلينا بعد مماته. فهذا المجموع أولى بتسطيره هنالك، وإثباته، فنسأل الله الذي خضعت له الأعناق، وعنت له الوجوه، أن يلحقنا بالذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، فإنا لنأمل ذلك ونرجوه.

---

(٦٩) ا : جميع أراء ذي.
(٧٠) ا : ما.
(٧١) سقط من ا
(٧٢) ب : بالسروات.

الفهـــارس

فهرس أعلام الأشخاص

أ

غ

ف

ق

ك

فهرس أسماء الجماعات

فهرس أسماء الأماكن

فهرس أسماء الكتب

فهرس أسماء الحيوان

فهرس أسماء الشجر والنبات

فهرس أسماء الطعام



فهــرس الـمــواد



مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38